قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من مصادرها الأساسية وتطبيقاتها في الأسرة

إعداد

مي بنت عبد الله بن علي الشديد د/ بدرية بنت خلف بن حمدان العنزي

تم استلام البحث في ٢٠١٨/٤/٢٢ تم الموافقة على النشر في ٢٠١٨/٥/٢٣

الملخص : استهدفت الدراسة الحالية التعرف على قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من خلال مصادرها الأساسية ومعرفة تطبيقاتها في الأسرة ،و استخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي من أجل استنباط قيم التعامل مع كبار السن من مصادر التشريع الإسلامي الأساسية (القرآن والسنة) .

وعرضت الدراسة قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية والمستنبطة من مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات العلاقة بالقيم المرتبطة بالتعامل مع كبار السن، واقتصرت هذه الدراسة على خمس قيم متعلقة بالجانب الأخلاقي، وهي قيمة البر، والتواضع، والاعتراف بالفضل، والرحمة، والصبر، ثم استخلاص عدد من الاستنباطات التربوية حول كل قيمة. ثم تناولت تطبيقات لهذه القيم في الأسرة، وقد قسمت تطبيقات القيم المستنبطة في الأسرة بناء على اختيار عدد من الأساليب التربوية، وهي: أسلوب القدوة وأسلوب الحوار والموعظة الحسنة وأسلوب القصة وأسلوب التربية بالأحداث وأسلوب الترغيب والترهيب، إلى برامج تربوية في الأسرة وتم تقسيمه إلى قسمين هي البرامج التربوية المطبقة في الأسرة، وبرامج تربوية أسرية مقترحة ، وفي الأخير توصلت الدراسة لعدد من النتائج، و التوصيات ، والمقترحات والتي يمكن أن تسهم في الاستفادة من القيم التربوية المستنبطة في الأسرة .

Abstract :

The study aims: the current study seeks to identify the values of dealing with overages in Islamic education from their basic sources and their application at family and school; this is by answering the following main question: what are the values of dealing with overages in Islamic education from Quran and Hadith texts.

Study method: this study depends on deduction approach

The most important results of the study:

1- The texts of Quran and Prophetic Tradition (sunnah) are full of transaction values with all society classes including

overages, from them we can deduce a group of deductions that are necessary to Muslim to apply at his life.

2- The family has an important role in educate children the values of dealing with overages, because the family considered as the first education organization at which the child is educated.
3- The overage at his advanced stage of his life must not be alone, but his sons and relatives must care of him and give attention to him, in case he has not relatives the country must care about him .

The overages are very sensitive and affected by behaviors and words that pose to him, so he needs a special transaction due to his psychological case.

المقدمة :

إن بناء القيم عند أمة من الأمم يؤدي إلى تقدمها وازدهارها ورقيها، أو إلى العكس إن أهملت أدى ذلك الى تخلفها وانهيارها، لذلك نجد المجتمعات التي تقوم على القيم الصحيحة كالقيم الإسلامية تثمر السعادة وصلاح المجتمع ، على العكس من المجتمعات القائمة على القيم المخالفة للفطرة الإنسانية فإنها تكون في شقاء وتعاسة ، ومن هنا تتضح لنا أهمية القيم الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ في تربية الإنسان وبناء المجتمعات الإنسانية الصحيحة، في ظل فشل القيم الوضعية التي صنعها البشر.

ويذكر السدحان بأن القيم في التربية الإسلامية جاءت شاملة لجميع جوانب الحياة، ومراعية حالات المخلوقات، وخاصة الاهتمام بالإنسان ورعايته، لأنه يمر بمراحل متعددة في حياته، فيبدأ وليداً ضعيفا، ثم شاباً قوياً، وأخيراً شيخاً كبيراً وضعيفا، قال تعالى (مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ [الروم:٥٤] (١٤٢١هـ، ٧).

ولئن كانت هذه الرعاية والعناية تمتد طوال حياة الإنسان، فإن ما يهم الباحثة هنا هي المرحلة الأخيرة منها، خصوصاً في ظل التغيرات التي تطرأ على التركيبة السكانية في العالم في العقود الأخيرة والتي بينت حجم الزيادة الكبيرة في نسبة كبار السن ، وهذا التحول في تركيبة السكان ستنجم عنه نتائج عميقة لكل جانب من جوانب الحياة، سواء بالنسبة للأفراد أم المجتمعات، هذه الزيادة الكبيرة أدت إلى ازدياد المناداة للاهتمام بهذه

الفئة، كما بُذلت جهود عملية لخدمتهم، وانصبت تلك الجهود على النواحي المادية الصرفة، فظهر ما يسمى بنظام التقاعد، والتأمينات الاجتماعية. (السدحان، ١٤٢١هـ، ٨)، كما أجملت خطة العمل الدولية للشيخوخة، التي اعتمدتها الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة(٢٠٠٢م) في فيينا في عام ١٩٨٢م، حقوق كبار السن.

وبيّنت مبادئ الأمم المتحدة المتعلقة بكبار السن وحقوقهم في مجالات الاستقلالية، والمشاركة، والرعاية، وتحقيق الذات، والكرامة. (الجمعية العالمية للشيخوخة، ١٤٣٥هـ)

وإن كان هذا التنادي في الدول المتقدمة لم يبرز إلا في السنوات الأخيرة، فإن الإسلام قد أكد على هذا الأمر منذ بدء ، وانعكس ذلك على سلوك وممارسة المسلمين في تعاملهم مع المسنين وخاصة الوالدين، "فمرحلة الكبر من مراحل العمر، وحلقة من حلقات التاريخ، وجزء لا يتجزأ من وجود كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية، فسنة الله في خلقه أن يأتي الجيل بعد الجيل، فيقدم الإنسان في حياته التضحيات، وقد يتعرض لألوان من الفاقة والحاجة، وألآم المرض والعجز، وخاصة إذا رُد لأرذل العمر، وليس من الوفاء للأجيال السابقة من المسنين أن يهملوا، أو يتركوا فريسة للضعف والحاجة في آخر حياتهم، بعد أن قدموا لأمتهم ما بوسعهم، فالواجب رعايتهم والعناية بهم، عملاً بتعاليم الدين الحنيف الذي حفظ للكبير مكانته، وقدر ذا الشيبة في الإسلام، ودعا إلى إكرامهم وحمايتهم". (محمد، ١٤٣١ه، ٢٦٣-٢٦٤).

المبحث الأول : التعريف بالبحث

أولاً :مشكلة البحث : في ضوء ما سبق تتبلور مشكلة الدراسة في أنه من الملاحظ في هذا الزمن غياب الاحترام والرعاية لكبار السن من بعض الأجيال في المجتمعات عموماً، وظهر ذلك في المجتمعات الإسلامية، مما دفع كبار السن إلى اللجوء إلى مراكز رعاية المسنين للحصول على الرعاية والعناية، على الرغم من وجود قيم خاصة بالتعامل مع كبار السن أكدت عليها التربية الإسلامية، وذلك بسبب غياب التربية السليمة للأجيال المسلمة، والتي تحثهم على مراعاة تلك القيم في التعامل مع كبار السن في الأسرة والمجتمع عموماً، ومن هذا كله ظهرت الحاجة الماسة إلى دراسة هذا الموضوع، فالدراسات المتعلقة بكبار السن قليلة إذا قيست بتلك التي تناولت التربية في مراحل العمر الأخرى (طفولة، ومراهقة، وشباب)، لذلك فإن دراسة قيم التعامل معهم في التربية الإسلامية الواردة في كتاب الله وسنة نبينا محمد ﷺ وتطبيقها في الأسرة والمدرسة على من هم في مرحلة الكبر أصبح أمراً مهما للغاية، "خاصة وأن الشريعة الإسلامية تفردت بقيم أخلاقية رفيعة، انفردت بها عن غيرها من الديانات والشرائع والأنظمة الوضعية في الوقت الراهن، إذ تعد القيم الحضارية الإسلامية وسيلة لأداء المسلمين لرسالتهم في عالم يتعرض لتغيرات متسارعة بسبب العولمة المعاصرة، والتي أثرت بشكل كبير على المنظومة القيمية في حياة المسلمين وغيرهم" (الصرايرة،

٢٠١٠م، ٢٥٤) ومن هنا جاءت الحاجة إلى هذه الدراسة من حيث ضرورة وضع تأصيل تربوي للقيم الإسلامية في تعامل مؤسسات التربية الإسلامية، خاصة الأسرة مع كبار السن، ويستند هذا التأصيل لمصادر التربية الإسلامية الأساسية ليكون موجها للتطبيقات التربوية في تلك المؤسسة ومن هنا يمكن التعرف على
قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من خلال مصادرها الأساسية و تطبيقاتها في الأسرة من خلال الإجابة على التساؤلات التالية :

السؤال الرئيس: ما قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من خلال مصادرها الأساسية وما تطبيقاتها في الأسرة ؟ ويتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية :

س١: ما قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من خلال بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية؟

س٢: ما التطبيقات التربوية لقيم التعامل مع كبار السن في الأسرة في ضوء قيم التربية الإسلامية المستنبطة ؟

ثانياً : أهداف البحث:

١- التعرف على قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من خلال بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

٢- التعرف على التطبيقات التربوية لقيم التعامل مع كبار السن في الأسرة في ضوء قيم التربية الإسلامية.

ثالثاً :**أهمية البحث**: المسنون هم الثروة البشرية لأي مجتمع، فهناك ما يربو على مليون نسمة تزيد أعمارهم عن ٦٠ عاما، هذه النسبة ستتضاعف في السنوات القادمة (الأمم المتحدة والشيخوخة، ١٤٣٥ه) ، فهذه الزيادة الكبيرة كانت دافعا لتخصيص هذا البحث لهذه الفئة العمرية، كما أن لمجتمعات غالباً يكون قادتها من الكبار الذين يجب دراسة مرحلتهم العمرية لمعرفة القيم المثلى للتعامل معهم، لذلك فالبحث سيفيد في توجيه شرائح المجتمع للقيم التي لابد أن يعامل بها كبار السن، عرفانا لمكانتهم في الإسلام، ولما يقدمونه للجيل اللاحق من خبرات، فهذه الشريحة هي من يتولى مقاليد الأمور الأسرية والاجتماعية، وتربية الصغار وتعليمهم القيم التي يسلكونها غالباً.

كذلك نظراً للخطر الكبير الذي تواجهه المجتمعات الإسلامية في تلقي القيم الوافدة من الحضارات الغربية، التي دفعت إلى نقل بعض المجتمعات الإسلامية من الرقي إلى التخلف لتراجعها عن القيم الإسلامية، والذي أدى ببعضها إلى إهمال فئة كبار السن أو ممارسة العنف على بعضهم، ولذلك جاءت الحاجة لهذه الدراسة التي تبرز القيم الإسلامية في التعامل مع كبار السن بعيدا عن القيم الوضعية التي يصدرها الغرب على هذه الأمة ، ويسهم هذا البحث بما سيتوصل إليه من نتائج في إمداد الأسرة المسلمة

والمربين، بتطبيقات يمكنهم استخدامها في تعاملهم مع كبار السن ، وسيبرز هذا البحث القيم التي ينبغي أن يربى عليها الأبناء والبنات بشكل عملي في الأسرة .

رابعاً : منهج الدراسة : اعتمدت الباحثة على المنهج الاستنباطي في هذا البحث وذلك لدراسة الآيات والأحاديث النبوية، لاستخراج قيم التعامل مع كبار السن من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

خامساً : مصطلحات الدراسة :

القيم: وتعرفها الباحثة بأنها مجموعة من القواعد والمبادئ المتصلة بالأخلاق الإسلامية التي تنظم سلوك الفرد والجماعة، والمستمدة من كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، والتي يمارسها المربون في تعاملهم مع كبار السن.

كبار السن: نظرا لصعوبة تحديد تعريف لكبير السن، وذلك لنسبية هذه المرحلة وتفاوت الأفراد فيما بينهم، وتسهيلا للتعامل مع هذا المصطلح فقد اختارت الباحثة تعريفاً لها بناءً على تفسير السعدي للآية: (وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ) [الإسراء:٢٣]، فقد بين الله –تعالى- أن مرحلة الكبر هي وصولهما إلى سن تضعف فيه قواهما ويحتاجان إلى اللطف والإحسان، وهذا ما أرادت الباحثة التركيز عليه في هذا البحث، بغض النظر عن العمر الزمني.

المبحث الثاني : قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من مصادرها الأساسية:

قامت الباحثة فيما يلي بجمع وتحديد بعض الآيات والأحاديث المتعلقة بقيم التعامل مع كبار السن من المعجم المفهرس للآيات القرآنية والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، والكتب الصحاح للحديث، وقامت بتدبر هذه الآيات معتمدة على التفاسير القرآنية المعتمدة والمعاجم اللغوية لاستنباط المعاني والدلالات، ثم قامت الباحثة بتصنيف هذه الآيات والأحاديث وفق القيمة التي تتعلق بها، وذلك **إجابة على السؤال الأول من أسئلة الدراسة** وتوصلت الباحثة إلى تحديد خمس قيم من القيم التي ترتبط بالتعامل مع كبار السن، حيث كانت هذه القيم الخمس الأكثر وضوحًا في هذه النصوص ، وهي كما يلي:

- **قيمة البرّ: وقد** خلصت الباحثة إلى تعريف البر بالمعنى **الاصطلاحي العام بأنه**: معنى يشمل كل خلق حسن حثت عليه الشريعة الإسلامية ودعت إليه.

ويعرف البر أيضا بمعنى أضيق من ذلك فيكون مختصًّا ببر الوالدين: وهو طاعتهما ومصاحبتهما والعطف عليهما والإحسان إليهما، والعمل على كسب رضاهما، والتفاني في تقديم الخدمة لهما.

- **النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت فيها قيمة البر:**

لقد جاء في كتاب الله تعالى آيات تدل على قيمة البِر، منها قوله تعالى: (فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ .....) البقرة: ١٧٧]، قال الزَّمخشريُّ: "البِرُّ في هذه الآية اسم للخير، ولكلِّ فعل مُرْضٍ" (٢٠٠٩م ، ١٠٨)، وقال الثوري (في ابن كثير، ٢٠٠٠م،١٢٦): (فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ) قال: هذه أنواع الخير كلها. وصدق رحمه الله، فإن من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كلها" ، ويؤيد هذا المعنى ما ذكره القرطبي (١٣٨٧هـ، ٢٣٨) في تفسيره أيضًا لهذه الآية، حيث قال: "البرّ هنا اسم جامع للخير والتقدير "وما ذكره أيضًا السعدي (١٤٢٠هـ، ٤٥٦) في تفسيره لمعنى الإحسان في قوله تعالى: (تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ)}الاسراء: ٢٣} ً أي أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي".

ولقد امتُدِحَ عيسى ويحيى عليهما السلام لبِرهما قال الله تعالى في مدح عيسى عليه السلام : بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ) [مريم: ٣٢] "أي وصاني أن أبرّ والدتي فأحسن لها غاية الإحسان وأقوم بما ينبغي لها لشرفها وفضلها ولكونها والدة لها حق الولادة وتوابعها" (السعدي، ١٤٢٠هـ، ٤٩٢).

وقد ذكر (ابن كثير، ٢٠٠٠م، ٨٢٤) في تفسير هذه الآية ما يظهر وجوب البر حيث قال: "أي وأمرني ببر والدتي، ذكره بعد طاعة الله ربه، لأن الله تعالى كثيرًا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين، كما قال: (تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ)}الاسراء:٢٣}، وقوله: (وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ) {مريم:٣٢} أي لم يجعلني مستكبرًا عن عبادته وطاعته، وبر والدتي فأشقى بذلك، كما ذكر السعدي (١٤٢٠هـ، ص٤٥٦) في تفسير قوله تعالى: (تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ) {الاسراء:٢٣}مما يؤكد أيضًا وجوب البر، "فذكر بعد حقِّه جل وعلا، حق الوالدين فقال: (ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ) أي أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي، لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه، والقرب، ما يقتضي تأكيد الحق ووجوب البر، "بل وامتدحت هذه القيمة

في نبي الله يحيى ٧، فقد كان بارًّا بوالديه، محسنًا لهما قال تعالى: ﴿۝١٨٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾ [مريم: ١٤] ذكر ابن كثير (٢٠٠٠م، ٨٢٠) في معنى البر في هذه الآية أي مجانبًا لعقوقهما قولا وفعلا، أمرًا ونهيًا.

وذكر السعدي (١٤٢٠هـ، ٤٩٠) في معنى قوله: (ث ث) معنى قريب مما ذكره ابن كثير في معنى البر، فقال: "أي لم يكن عاقًا، ولا مسيئًا إلى أبويه بل كان محسنًا إليهما بالقول والفعل".

ويزداد التأكيد على البر في مرحلة الكبر، وهي مرحلة الضعف والحاجة، فقد أورد القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ [الإسراء: ٢٣] أن الله تعالى خص حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاج فيها الوالدان إلى البِر، لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فألزم في هذه الحالة مراعاة أحوالهما أكثر من قبل فيحتاج أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر" (القرطبي، ١٣٨٧هـ، ٢٤١).

وقال السعدي (١٤٢٠هـ، ٤٥٦) أيضًا في تفسير هذه الآية: "أي إذا وصلا إلى هذه السن التي تضعف فيه قواهما، ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف".

كما أن التعبير القرآني في كلمة (عندك) في قوله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ يدل على أن الأبوين عندما يكبران في السن يكونان في رعاية الابن وعنده، فيصبح المسؤول عنهما بعد أن كانا هما المسؤولين عنه، لهذا نبه الأبناء لرعاية الكبير في هذه المرحلة لأن طول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة ويحصل الملل، ويكثر الضجر، فيظهر غضبه على والديه وتنتفخ أوداجه، ويستطيل عليهما لقلة الديانة، وأقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر (القرطبي، ١٩٦٧م، ٢٤١)، ولما ذكر الله تعالى جملة: ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ كلف الإنسان في حق الوالدين خمسة أشياء:

فالأول قوله تعالى: ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ أي لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرُّم، وتقال لكل ما يُضجر ويستثقل، والثاني: قوله: ﴿وَمَن كَانَ﴾ أي تزجرهما وتغلظ عليهما.

والثالث: قوله: (مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ) أي: لينًا لطيفًا، والرابع: قوله: (مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) أي عاملهما بشفقة وتذلل كما يتذلل الرعية لأميرهم، والعبيد لسادتهم، والخامس: قوله سبحانه وتعالى: (بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) أي وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية إن كانا مسلمين (القرطبي، ١٩٦٨م، ٢٤١، ٢٤٣).

بل ومما يؤكد عظم هذه القيمة بشكل أكبر هو أمر الابن ببر والديه على الرغم من شركهما كما في قوله تعالى: (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ) [لقمان: ١٥]، قال ابن كثير (١٤٢٠هـ، ١٠٦٣) في تفسيرها أي "إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما في دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصحبهما في الدنيا معروفًا أي محسنًا إليهما " كما أن البر ليس قاصرًا على الوالدين فقط، حيث ذكر السعدي (١٤٢١هـ، ٤٥٦) "أنه يفهم من خلال هذه الآية: (وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ) [الإسراء:٢٣]، أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك كل من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين فإن له على مَن رباه حق البر".

ولقد خصَّ رسول الله ﷺ مرحلة الكبر بالاهتمام، والرعاية، وألزم الأبناء ببر الوالدين في هذه المرحلة من العمر لحاجتهم إلى البر بكل أنواعه ومعانيه المشار لها سابقا عند الحديث عن أنواع البر، وبين خسارة من حرم بر والديه الكبيرين في السن؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "رغم أنفه. ثم رغم أنفُه. ثم رغم أنفُه. قيل: مَن يا رسولَ اللهِ؟! قال: من أدرك والديه عند الكبرِ، أحدَهما أو كليهما، ثم لم يدخلِ الجنةَ".(مسلم ، ١٩٧٥: ٢٥٥١) ففي هذا الحديث "حث على بر الوالدين، وعظم ثوابه. ومعناه أن برَّهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة، أو النفقة، أو غير ذلك سبب لدخول الجنة؛ فمن قصَّر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه"؛ فالوالدان الكبيران هما من فئة كبار السن في مجتمعنا.

ومن الأحاديث الدالّة على قيمة البر حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البِر والإثم، فقال: "البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس" (مسلم ، ١٩٨٠: ٢٥٥٣) قال العلماء في معنى البر في هذا الحديث "أن البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع الخلق"، فهذا الحديث يدل على المعنى العام والواسع للبر، كما أن هناك من الأحاديث ما يدل على قيمة البر بمعنى

الإحسان إلى الوالدين، ويدل أيضًا على عظم هذه القيمة، منها حديث أبو الوليد عن شعبة قال: الوليد بن عيزار أخبرني قال سمعت أبا عمر والشيباني يقول: "أخبرنا صاحب هذه الدار – وأومأ بيده إلى دار عبد الله – قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها. قال ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين. قال ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال حدثني بهن، ولو استزدته لزادني" (البخاري ،١٣٧٩ه: ٥٩٧٠) قال ابن التين: "تقديم البر على الجهاد يحتمل وجهين: أحدهما التعدية إلى نفع الغير، والثاني أن الذي يفعله يرى أنه مكافأة على فعلهما، فكأنه يرى أن غيره أفضل منه، فنبَّه على إثبات الفضيلة فيه. قلت: والأول ليس بواضح، ويحتمل أنه قُدّم لتوقف الجهاد عليه، إذ من بر الوالدين استئذانهما في الجهاد، لثبوت النهي عن الجهاد بغير إذنهما، كما في حديث أبي العباس عن عبدالله بن عمرو قال: "قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد. قال: لك أبوان؟ قال نعم. قال: ففيهما فجاهد". (البخاري،١٣٧٩ه: ٥٩٧٢) "إن كان لك أبوان فأبلغ جهدك في برهما والإحسان إليهما، فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدو". (العسقلاني، ١٤٠٧ه ـ، ٤٠٠-٤٠٣).

ومما يدل بشكل أكبر على عظم هذه القيمة أن عُدّ عقوق الوالدين كبيرة من كبائر الذنوب، قال ابن عمرو عن النبي ﷺ قال: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرت السؤال، وإضاعة المال".(البخاري، ١٣٧٩ه: ٥٩٧٥) "فالعقوق بضم العين المهملة مشتق من العق وهو القطع، والمراد به صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل إلا في شرك أو معصية ما لم يتعنت الوالد". (العسقلاني، ١٤٠٧ه ـ، ٤٠٦).

ومما سبق من عرض النصوص السابقة وشروحها تخلص الدراسة لعدد من الاستنباطات التربوية حول قيمة البر للتعامل مع كبير السن كالآتي:

١- ندرك أن البر قيمة عظيمة ليست مقتصرة على بر الوالدين بل تشمل كل خلق حسن يوجه للصغار، وللكبار على وجه الخصوص، ويؤيد هذا المعنى قول الزَّمخشريُّ وقول الثوري، والقرطبي المذكورة سابقاً والتي بينت أن البر يشمل جميع أنواع الخير، ويؤكدها الحديث السابق للنواس بن سمعان رضي الله عنه عندما سأل رسول الله ﷺ عن البر، وهذا يدل على أن البر يأتي بمعنى مجامع الخلق الحسن.

٢- أن البر سبب للألفة بين الناس وللسعادة في الدنيا والآخرة، قال الماوردي رحمه الله (في بن حميد، ملوح، ١٤٣٣هـ، ٧٥٣): إن البِر من أسباب الألفة، لأنه يوصل إلى القلوب ألطافًا يثنيها محبة وانعطافًا، ولذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به، وقرنه بالتقوى، فقال سبحانه: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [المائدة:٢]، كما أن بر الكبير من الوالدين على وجه الخصوص سبب للسعادة وتركه سبب للشقاء، دل على ذلك ما ذكره (ابن كثير،

٢٠٠٠م،٨٢٥) في تفسير قوله تعالى: (هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَأَصْلَحَ [مريم: ٣٢]، (وَبَيِّنَتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَأَصْلَحَ أي لم يجعلني مستكبرًا عن عبادته وطاعته، وبر والدتي فأشقى بذلك "فجعل التجبر على الوالدين وعقوقهما سببًا للشقاء، وبرهما سببًا للسعادة، لذلك أشد ما تكون حاجة الإنسان للبر في مرحلة الكبر".

٣- أن الكبير في السن عمومًا محتاج لمزيد عناية ورعاية، وأن لا يكون وحدَه، بل عند أبنائه أو من هو مسؤول عنه، بسبب حالة الضعف التي يمر بها، وإن لم يكن هناك مكان يؤوي الكبير أو قريب يقوم بشأنه فالدولة مسؤولة عن رعايته وتوفير المكان الذي يؤويه ويحفظ له كرامته، وهذا يؤيده ما ذكره القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: (وَبَيِّنَتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ) ومما ذكره أن الله تعالى خص حالة الكبر، لأنها الحالة التي يحتاج فيها الوالدان إلى البِر، لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فألزم في هذه الحالة مراعاة أحوالهما أكثر من قبل، فيحتاج أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر (القرطبي، ١٣٨٧هـ، ٢٤١) وكذلك يؤيده ما ذكره (النووي، ١٤١٦، ١٠٨) في شرحه لحديث رسول الله ﷺ "رغم أنفه. ثم رغم أنفُه. ثم رغم أنفُه. قيل: مَن يا رسولَ اللهِ؟! قال: من أدرك والديه عند الكبرِ، أحدَهما أو كليهما، ثم لم يدخلِ الجنةَ"(مسلم ،١٩٨٠: ٢٥٥١) ففي هذا الحديث "حث على بر الوالدين، وعظم ثوابه. ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة، أو النفقة، أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه".

٤- أن كبير السن يتأثر بالكلمات التي توجه له، وتؤثر على نفسيته بشكل كبير لذا فهو محتاج إلى تعامل خاص يُراعى فيه الجانب النفسي لشدة حساسيته وسرعة تأثره، ومما يدل على هذا قول القرطبي (١٩٦٨م، ٢٤١- ٢٤٣) "أن الله تعالى بعد جملة (وَبَيِّنَتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ) كلف الإنسان في حق الوالدين خمسة أشياء: فالأول قوله تعالى: (مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ) أي لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم، وتقال لكل ما يضجر ويستثقل، والثاني: قوله: (وَمَن كَانَ) أي تزجرهما وتغلظ عليهما، والثالث: قوله: (مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ) أي ليِّنًا لطيفًا، والرابع: قوله: (مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ) أي عاملهما بشفقة وتذلل كما يتذلل الرعية لأميرهم، والعبيد لسادتهم، والخامس: قوله

سبحانه وتعالى: (ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية إن كانا مسلمين"، هذه الأمور الخمسة جاءت كلها عدا خفض الجناح متعلقة بجانب لفظي يوجه للكبير، وهذا يدل على الأثر الكبير للكلمات التي توجه لكبار السن.

٥- أن البر عمل محتاج إلى صبر، ومجاهدة، وترك لبعض حظوظ النفس وملذاتها، يدل على ذلك ما ذكره العسقلاني (١٤٠٧ه، ٤٠٠-٤٠٣) في شرحه لحديث أبي العباس "عن عبد الله بن عمرو قال: قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد. قال: لك أبوان؟ قال نعم. قال: ففيهما فجاهد" (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٥٩٧٢) فقد ذكر أنه "إن كان لك أبوان فابلغ جهدك في برهما والإحسان إليهما، فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدو" ولذلك فإن الكبير في السن على وجه العموم محتاج إلى البر بسبب ضعفه وشدة حاجته إلى من يسانده.

- **قيمة التواضع:**

التواضع: لقد جاء في الكتاب والسنَّة ما يدل على قيمة التواضع في التعامل مع كبار السن، وقبل أن نعرض ما يدل على ذلك ستتناول الباحثة المعنى اللغوي والاصطلاحي لقيمة التواضع فيما يلي:

في اللغة: [و ض ع]. (مصدر تَوَاضَع) أي تذلل وتخاشع (الفيروز آبادي، ١٤٢٦هـ، ٧٧٢)

ومعناه في الاصطلاح: "رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقُّه فضله ومنزلته. وهو وسطٌ بين الكِبْر والضِّعَة، فالضِّعَة: وضع الإنسان نفسه مكانًا يزري به بتضييع حقِّه. والكِبْر: رفع نفسه فوق قدره" (الأصفهاني، ١٤٢٨هـ، ٢١٣).

وعرفه جنيد بن محمد بأنه خفض الجناح ولين الجانب.

ويعني أيضًا "أن لا ترى لنفسك قيمة، فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب" (في ابن قيم الجوزية، ١٤٢٦هـ، ٦٨١).

- **النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت فيها قيمة التواضع:**

إن المتأمل في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ يجد الكثير من الآيات والأحاديث الدالة على هذه القيمة، التي تحث عليها، منها قوله تعالى: (فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ) [الفرقان: ٦٣]، فهذه الآية كما ذكر (السعدي، ١٤٢٠هـ، ٥٨٦) "وصفت عباد الرحمن بأفضل الصفات فوصفتهم بأنهم (يمشون على الأرض هونا): أي ساكنين متواضعين لله وللخلق، فهذا وصفٌ لهم بالوقار، والسكينة والتواضع لله، ولعباده"، وفسرها (القرطبي ،١٣٨٧هـ، ٦٨-٦٩) بقوله: "يمشون على الأرض حلماء متواضعين، وقال ابن عباس: بالطاعة والمعروف والتواضع، وقيل: لا يتكبرون على الناس"، ولقد جاء في آيات أخرى ما يؤكد هذا المعنى، كما في قوله تعالى:

((واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)) [الشعراء: ٢١٥]، حيث بيَّن السعدي (١٤٢٠هـ، ٥٩٩) أن معنى هذه الآية: "هو لين الجانب والتودد والتحبب اليهم، وحسن الخلق والإحسان التام، وقد فعل رسول الله ﷺ ".

كما جاء الحث على هذه القيمة في آيات أخرى، يقول تعالى: ﴿بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ذكر (ابن كثير ،٢٠٠٠م، ٢٥٥) في تفسيرها أن من رحمة الله بك وبأمتك أن جعلك لينًا لهم، وذكر (السعدي ،١٤٢٠هـ، ١٥٤) معنى لهذه الآية مشابه لما ذكره ابن كثير "ذكر أن من رحمة الله لك ولأصحابك أن منَّ الله عليك أن ألَنْتَ لهم جانبك، وخفضتَ لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك فاجتمعوا عليك فأحبوك وامتثلوا أمرك".

فاتصاف النبي ﷺ بهذه الصفة هو حث للجميع للاقتداء به والتخلق بأخلاقه والتعامل مع الناس بما كان الرسول ﷺ يتعامل به مع الناس أجمعين، بل إن الله تعالى جعل التواضع من صفات أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿بَيْنَهُمْ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ﴾ [المائدة: ٥٤]، فهذا الذل هو ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات ولين، وليس ذل الهوان الذي صاحبه ذليل (ابن قيم الجوزية، ٢٠٠٥م، ٦٧٧) وذكر (القرطبي ،١٣٨٧هـ، ٢٢٠) أن معنى أذلة "نعت لقوم، أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم، من قولهم: دابة ذلول أي تنقاد سهلة، وليس من الذل في شيء، وقال ابن عباس: هم للمؤمنين كالولد للوالد، وكالسيد للعبد".

ولقد جاءت آيات أخرى تنهى عن خلق التكبر والتعالي، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٣٧]، ذكر السعدي (١٤٢٠هـ، ٤٥٦) "أن معنى مرحا أي كبرًا وتيهًا وبطرًا، متكبرًا على الحق متعاليًا على الخلق"، وذكر ابن كثير (٢٠٠٠م، ٧٦٨) أن هذه الآية "ناهية لعباده عن التجبر والتبختر في المشية (وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا) أي متبخترًا متمايلا تمشي مشي الجبارين، وقوله: (وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا) أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك".

كما يتجلى معنى التواضع للكبير في الآيات التي رسمت منهج التعامل مع الوالدين؛ فهما يمثلان فئة كبار السن في المجتمع عند بلوغهما سن الكبر، كما في قوله

تعالى: بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) [الإسراء:٢٣-٢٤]، وقد فسر ابن كثير رحمه الله (١٤٢١هـ، ص٧٦٤) معنى خفض الجناح في هذه الآية بالتواضع لهما بالفعل، كما أن هذه الآية تنبهنا إلى خاصية لكبير السن ألا وهي الحساسية المفرطة، لذا نهانا الله عز وجل عن معاملة الكبير بطريقة تؤثر في نفسه حتى ولو كانت كلمة أو إشارة توحي بالضجر والضيق منه، بل ويكون هذا الضجر عظيمًا عند الله إن كان صادرًا من أحد أبنائه" (العبيد، ١٤٢٣هـ، ٢٧).

أما في السنة النبوية، فقد جاء ما يدل على قيمة التواضع في مواضع متعددة، إما صريحة وإما بالمعنى، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله" (رواه مسلم، ١٩٨٠: ٢٥٨٨) و ذكر النووي (١٤١٦هـ، ١١٠) في شرحه لهذا الحديث أن قوله ﷺ: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله". فيه وجهان: أحدهما يرفعه في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه. والثاني أن المراد ثوابه في الآخرة، ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا. قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة، وقد يكون المراد الوجهين معًا في جميعها في الدنيا والآخرة.

فهذا الحديث يرغب في قيمة التواضع وأهمية تمثلها في التعامل مع الناس جميعًا لأجل ما أعده الله تعالى للمتواضعين في الدنيا والآخرة، كما أن من الأحاديث ما يحذر من البغي والتكبر كحديث عياض بن حمار رضي الله عنه: أنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله أوحى إليّ: أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد» (رواه مسلم،١٩٨٠: ٢١٩٩) ، وذكر (الصنعاني ،١٩٩٩م، ٣٩٩) أن "عدم التواضع يؤدي إلى البغي لأنه يرى لنفسه مزية على الغير، فيبغي عليه بقوله أو فعله ويفخر عليه ويزدريه".

بل إن النبي محمد ﷺ كان يتمثل هذه القيمة في تعامله مع الجميع صغارًا، وكبارًا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير: "يا أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَير؟". (رواه البخاري،١٣٧٩: ٦١٢٩) ، وقال الإمام النووي (١٤١٦هـ، ٥٦) ومما جاء في شرح الحديث: "أن فيه فوائد كثيرة جدا؛ منها بيان ما كان نبي الله عليه من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع وزيارة الأهل".

وذكر (القاري، ٢٠٠٢م، ٣٠٦١) أن في هذا الحديث ما يدل على كمال خلق النبي -ﷺ- وأن رعاية الضعفاء من مكارم الأخلاق، وأنه يستحب استمالة قلوب الصغار،

وإدخال السرور في قلوبهم، كيف لا، وقد قال تعالى في وصفه الكريم: (أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى) [القلم:٤]

وعن الأسود قال: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها : ما كان النَّبيُّ ﷺ يعملُ في بيتِهِ؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٦٠٣٩) فقد كان ﷺ يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله تواضعًا منه وكرم خلق، ولا غرابة فهذا هو خلق الأنبياء ﷺ ، قال ابن بطال في (العسقلاني، ١٤٠٧ه، ٤٦١): "إن من أخلاق الأنبياء التواضع والبعد عن التنعم، وامتهان النفس ليُستن بهم، ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة في قوله تعالى: بَيْنَهُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ) [المزمل:١١]، فكان ﷺ على قدر عالٍ من هذه الأخلاق؛ "فهو هين المؤونة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه باسم، متواضع من غير ذلة، جواد من غير سرف، رقيق القلب رحيم بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم" (ابن القيم، ٢٠٠٥م، ٦٧٩-٦٨٠)

بل وجاء في بعض الأحاديث أمر بالتواضع كما في حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد". (رواه مسلم١٣٧٩: ٢٨٦٥) وذكر (ابن عثيمين ، د.ت، ٣٧٢) في شرحه لهذا الحديث "يعني أن يتواضع كلُّ واحد للآخر، ولا يترفَّع عليه، بل يجعله مثله أو يكرمه أكثر، وكان مِن عادة السَّلف رحمهم الله أنَّ الإنسان منهم يجعل مَن هو أصغر منه مثل ابنه، ومَن هو أكبر مثل أبيه، ومَن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى ما هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال، وإلى مَن هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى مَن هو مثله نظرة مساواة، فلا يبغي أحدٌ على أحد، وهذا مِن الأمور التي يجب على الإنسان أن يتَّصف بها، أي بالتَّواضُع لله عزَّ وجلَّ ولإخوانه مِن المسلمين".

بل وجاء في أحاديث أخرى أن التواضع ولين الجانب سبب لدخول الجنة بينما التكبر والتعالي سبب للحرمان منها، كما في حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر". (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٤٩١٨) وذكر (ابن عثيمين ، د.ت، ٣٤) أن علامة أهل الجنة أن يكون الإنسان ضعيفًا متضعفا، أي لا يهتم بمنصبه ولا بجاهه، أو يسعى لعلو المنازل في الدنيا ولكنه ضعيف في نفسه، لأنه يرى أن المهم أن يكون له جاه عند الله تعالى.

بل ومما يدل بوضوح على تواضعه ﷺ بشكل خاص للكبير، عندما جاء أبو بكر رضي الله عنه بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين

يديه فقال لأبي بكر: "لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه" تكرمة لأبي بكر، فأسلم ورأسه ولحيته كالثغامة بيضاء، فقال: "غيروهما وجنبوهما السواد". (أخرجه ابن حبان، ١٤١٤ه ، ٢٨٦).

يقول السرجاني (٢٠١١م) معلقًا على هذا الحديث: "إنه القائد المنتصر الذي يدخل مكة فاتحًا، وأبو قحافة شيخ كبير تأخَّرَ إسلامه أكثر من عشرين عامًا، ومع ذلك يوقِّره رسول الله ﷺ ، ويرى أنه كان الأَوْلى أن يتحرك هو - وهو الرسول الزعيم المنتصر - إلى بيت الشيخ! هذه هي منزلة كبار السن في عين رسول الله ﷺ ".

فهذه الآيات والأحاديث ترغِّب في قيمة التواضع بل وتأمر بالتحلي بها، وتدعو إلى نبذ الكبر والتعالي مع المسلمين جميعًا، ومع الكبير على وجه الخصوص، تقديرًا لهم، وتأدبًا معهم ورأفة بحالهم، لأنهم أصبحوا من بعد قوة ضعفاء يتأثرون بكل كلمة وسلوك يُوَجه لهم.

ومما سبق تخلص الدراسة لعدد من الاستنباطات التربوية حول قيمة التواضع في التعامل مع كبير السن وهي كالآتي:

١- أن المنهج الإسلامي اهتم بالفرد بشكل عام، وحض على إكرامه واحترامه، وبين أن التعامل الذي يجب أن يكون بين المسلم وأخيه يجب أن يكون قائمًا على التواضع والإحسان، يؤيد هذا ما ذكره السعدي (١٤٢٠، ٥٩٩) في قوله تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) [الشعراء: ٢١٥]، أن معنى هذه الآية هو لين الجانب والتودد والتحبب إليهم، وحسن الخلق والإحسان التام لهم". فإذا كان هذا هو المنهج العام في التعامل مع الأفراد على وجه العموم، فإن كبير السن هو أحوج ما يكون إلى التواضع ولين الجانب على وجه الخصوص.

٢- أن صفة التواضع صفة على المؤمن أن يتحلى بها، وأن تتجلى في شخصيته، وفي تعامله مع جميع من حوله، يؤكد هذا ما ذكره القرطبي (١٣٨٧هـ، ص ٦٨-٦٩) والسعدي (١٤٢٠، ٥٨٦) في قوله تعالى: (فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ) [الفرقان: ٦٣]، فهي وصفت عباد الرحمن بأفضل الصفات، فوصفتهم بأنهم (يمشون على الأرض هونا)، ويؤكد هذا المعنى ما ذكره القرطبي (١٣٨٧هـ، ٢٢٠) في قوله تعالى: (فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ) [المائدة:٥٤]، أن معنى أذلة "نعت لقوم، أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم" ولعل هذه الصفة تتجلى بوضوح حين يتعامل المؤمن مع مَن هو دونه، إما في المال أو القوة ككبير السن الذي ضعف حاله. ورق عظمه.

٣- أن التواضع ولين الجانب سبب لقبول الحق، والمحبة بين الناس يؤيد هذا ما ذكره ابن كثير (٢٠٠٠، ٢٥٥) والسعدي (١٤٢٠، ١٥٤) في قوله تعالى: (بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ...) [آل عمران:١٥٩]، أن من رحمة الله بك وبأمتك أن جعلك لين الجانب لهم، وخافضًا لهم جناحك، وحسنت لهم خلقك فاجتمعوا عليك فأحبوك وامتثلوا أمرك، بل ويؤكد هذا الأمر بشكل أكبر تمثل النبي محمد ﷺ بهذه الصفة وهو القائد، والداعي إلى دين الإسلام، فتواضعه لأمته وكمال أخلاقه جعل الأمة قاطبة ممن عاش معه، ومن أتى بعده، من مسلمين، وكثير ممن هم على غير الإسلام يجمعون على محبته وقبول دعوته، يدل على تواضعه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير: "يا أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَير؟" (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٦١٢٩)، ومما ذكره الإمام (النووي ،١٤١٦هـ، ٥٦) في شرح الحديث: إن في هذا الحديث بيان ما كان النبي ﷺ عليه من حسن الخلق، وكرم الشمائل والتواضع، وزيارة الأهل، فإذا كان هذا هو هدي النبي محمد ﷺ في تعامله مع الناس جميعًا، فنحن علينا الاقتداء به في تعاملنا مع من حولنا، بمن فيهم كبار السن.

٤- خص الله تعالى مرحلة الكبر بالإكرام والتواضع، بل وأوجب توقيرهم، لأن الكبير في هذه المرحلة من العمر يكون قد وصل إلى مرحلة يشعر فيها بالضعف والحاجة إلى من حوله نتيجة حالة الضعف العامة التي يمر بها الكبير، والتي تشمل الجوانب النفسية، والجسمية، والتي تشعر الكبير بأنه أصبح عبأ على أسرته، فهو يشعر كما ذكر (محمد ،٢٠١١م، ٢٥٧) "بأن من حوله لا يطيعون له أمرًا وينازعونه السلطة في الأسرة، وهو ما يحز في نفس المسن، ويجعله عرضه للمعاناة من التوتر والألم النفسي"، لكن عندما يجد الكبير من أسرته تواضعا له، وعدم التأفف والانزعاج من حالة الضعف التي يمر بها يشعر بالانتماء والراحة النفسية والطمأنينة، يؤكد ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا» (رواه الترمذي، ١٩٩٨: ١٩١٩) "فليس منا تهديد وتحذير، ليس من إساءة المعاملة، بل من عدم الاحترام والتوقير" (الزعبي، ٢٠١٠م، ص٤٢).

٥- أن التواضع للكبير ليس مقتصرًا على اللين في القول معه، بل يكون بالفعل، لأن كبير السن سواء كان ممن لايزال يتمتع بقوته وصحته أو من أصبح في حالة ضعف وعجز عن القيام بأبسط الأمور، حتى عن لبس حذائه، وقضاء حاجته، ونحوها مما تأنف النفس من فعله، فكان المعنى الحقيقي والواضح للتواضع هو بالفعل وليس

بالقول، يؤكد هذا قوله تعالى: بَيْنَهُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) [الإسراء: ٢٣ - ٢٤]، فقد فسر ابن كثير (١٤٢١هـ، ٧٦٤) معنى خفض الجناح في هذه الآية بالتواضع لهما بالفعل "ولهذا تتأكد قيمة التواضع مع الكبير مراعاة لحالة الضعف التي يمر بها وإكراما له.

٦- أن من التواضع للكبير وتوقيره تلبية مطالبه وتوفير احتياجاته، وعدم تكليفه بأمور لا يطيقها، بل وتقديم الخدمات التي يحتاجها دون أن يكلف ببذل جهد بدني، فالكبير في هذه المرحلة يمر بحالة ضعف عامة يدل على هذا قوله تعالى: بَيْنَهُمْ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ) [مريم: ٤]، يقول (ابن كثير ،١٤٢١هـ، ٨١٨): "أي ضعفت وخارت القوى، واضطرم المشيب في السواد، والمراد من هذا الإخبار عن حالة الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة"، لذلك كان "من أهم مطالب هذه المرحلة الراحة الجسمية" (الهاشمي، ١٤٠٠هـ، ٣٦٦) كما يظهر ذلك جليًّا في سلوك النبي ﷺ مع والد أبي بكر رضي الله عنه ، حين وضعه بين يديه فقال لأبي بكر: «لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه»، ودل عليه أيضًا قوله تعالى: بَيْنَهُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) [الإسراء:٢٣-٢٤]، فقد ذكر(القرطبي، ١٩٦٨م، ٢٤١- ٢٤٣) في تفسير لقوله تعالى: (مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ) أي عاملهما بتذلل وشفقة كما يتذلل الرعية لأميرهم، والعبيد لسادتهم، "فهذه الآية تؤكد أهمية التواضع عند التعامل مع كبير السن، بل وتصبح لزامًا على المسلم يستحق على تركه العقوبة الكبيرة، عندما يكون هذا الكبير أحد الوالدين.

-**الاعتراف بالفضل**:

لقد جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ العديد من المواقف التي تدل على قيمة الاعتراف بالفضل لأهله، ومنهم الكبار الذين أفنوا زهرة شبابهم كفاحًا وعملًا، وقبل أن

نستعرض ما يدلّ عليها في الكتاب والسنة، سنستعرض في البداية تعريفا لهذه القيمة، وللتعريف به كالتالي:

لغة: أصلها (عَرَفَ): "تدل على تتابع الشيء متصلًا بعضه ببعض، وتدل أيضًا على السكون والطمأنينة، واعتراف بالشيء، إذا أقر، كأنه عرفه فأقر به" (ابن فارس، ١٣٩٩هـ، ج ٤، ٢٨٢).

الفضل لغة: "الفضل والفضيلة ضد النقص والنقيصة، والإفضال: الإحسان" (الرازي، ١٩٨٦م، ٢١٢).

ومعنى الاعتراف بالفضل اصطلاحًا: هو "أن يقر المتفضل عليه من بفضل من يصدر عنه الفضل ولا يجحده، أو يتناساه، ولا شك أن المولى - عزّ وجلّ - هو صاحب الفضل في الأولى والآخرة، إذ هو المتفضل على أهل الدنيا، مسلمهم وكافرهم بنعمه التي لا تُحصى، وفي الآخرة يدخل عباده الصالحين الجنة ويورثهم دار المقامة من فضله" (ابن حميد وابن ملوح، ١٤١٨هـ، ج٢، ٣٩٧).

- النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت فيها قيمة الاعتراف بالفضل:

لقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على الاعتراف بالفضل في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: بَيْنَهُمْ لَهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ) [النمل: ٤٠]، و(ذكر السعدي ،٢٠٠٠م، ٦٠٥) أن "سليمان عليه السلام حمد الله تعالى على أقداره وملكه وتيسير الأمور له، وعلم أنه يُختبر بهذا الأمر فلم يغترَّ بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين"، وذكر (القرطبي، ١٣٨٧هـ، ٢٠٦) في قوله تعالى: ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ) "أي لا يرجع نفع ذلك إلى نفسه، حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها"، ويؤيد هذا المعنى اعتراف يوسف بفضل الله عليه وعلى الأنبياء قبله، في قوله تعالى: بَيْنَهُمْ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ) [يوسف: ٣٨]، و ذكر(السعدي ،٢٠٠٠م، ٣٨٩) في تفسيره لهذه الآية أن هذا من أفضل مننه وإحسانه وفضله علينا وعلى من هداه الله كما هدانا، فإنه لا أفضل من منة الله على العباد بالإسلام، والدين القويم، فمن قبله وانقاد له فهو حظه، وقد حصل له أكبر

النعم وأجل الفضائل "كما أن هناك آيات تدعو إلى الاعتراف بالفضل لأهله وترغِّب في ذلك، كما في قوله تعالى: (وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ) [البقرة: ٢٣٧]، وذكر (ابن كثير ،٢٠٠٠م، ١٧٥) أن معنى الفضل هنا هو الإحسان، ويقول (السعدي ،٢٠٠٠م، ١٠٥) في هذه الآية "إن الفضل هو أعلى درجات المعاملة، لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو أخذ الواجب وإعطاء الواجب، وإما فضل وإحسان وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق، والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة ولو في بعض الأوقات، وخصوصًا لمن بينك وبينه معاملة أو مخالطة فإن الله مجازٍ المحسنين بالفضل والكرم".

وقوله تعالى: (مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ) [الإسراء: ٢٤]، يقول (القرطبي ،١٣٨٧هـ، ٢٤٤) في هذه الآية: "أمر الله تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك، إذ ولياك صغيرًا جاهلا محتاجًا، فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكساك، فلا تجزهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر، فتلي منهما ما وليا منك، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم، وخص التربية بالذكر «كما ربياني» ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقا لهما وحنانًا عليهما".

وقد فسر السعدي هذه الآية بقوله: "ادع لهما بالرحمة أحياءً وأمواتا، جزاءً على تربيتهما إياك صغيرًا، وفُهم من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه، تربية صالحة غير الأبوين، فإن له على من رباه حق التربية" (السعدي،١٤٢٠هـ، ٤٥٦).

وقد جاء في السنة الشريفة ما يدل على الاعتراف بالفضل في مواضع عديدة، منها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ "إن من أمن الناس عليَّ في صحبته وماله: أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلا غير ربي، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوَّة الإسلام ومودته لا تبقين في المسجد باب سدَّ إلا باب أبي بكر" (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٣٤٥٤) وذكر (العسقلاني ،١٤٠٧هـ،ص ٣٤٥٤) أنه في هذا الحديث تظهر فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وأنه كان متأهلا لأن يتخذه النبي - ﷺ - خليلا لولا المانع المتقدم ذكره، وفيه شكر المحسن والتنويه بفضله والثناء عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عله وسلم: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» صححه الألباني (الترمذي، ١٣٩٥هـ: ١٩٥٤)، فهذا الحديث

يدل على أن ديننا الحنيف دعا إلى الإقرار بالجميل وتوجيه الشكر لِمَن أسداه إلينا؛ حتى تسود العلاقات الطيبة في المجتمع "ولما كان من طبع الإنسان أن يهشّ إذا نُسب له الخير، وتوجه إليه بالشكر، كان الاعتراف بالفضل باعثًا على مرضاته، بعد مرضاة الله تعالى، لأن من يشكر الناس فإنما هو في الحقيقة يشكر المولى الذي أجرى الخير على يديه" (حميد، ملوح، ٢٠١٢م، ٣٩٩)، وجاء ما يؤكد هذا المعنى في حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - ﷺ - على المنبر: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ" (الإمام أحمد، ١٤١٩ه : ١٨٤٧٢). ولعل أحق من يعترف بفضله هم كبار السن الذين ذهبت زهرة شبابهم في خدمتنا ونحن صغار، "ولما بذلوه من عطاء، وقدموه لأمتهم البشرية من صنع كريم، وجهود خيرة، لذلك نهى الشرع أن يمس حسهم وشعورهم بما يخدشه ويؤثر فيه" (العمري، ٢٠١٠م، ١٥٩)، بل إن الابن مع والديه لو بذل لهما ما يملك، وقدم لهما ما يستطيع، فلن يقدر على أن يكافئهما أو يرد شيئًا من جميلهما عليه لقول رسول الله ﷺ: "لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه" (رواه مسلم، ١٤١٦ه:١٥١٠) علق (الصنعاني ،١٩٩٩م، ٢٧٤) على هذا الحديث بقوله: "وإنما كان عتقه جزاء لأبيه لأن العتق أفضل ما منَّ به أحد على أحد لتخليصه من الرق، فتكمل له أحوال الأحرار من الولاية والقضاء والشهادة بالإجماع"، فهذا وغيره من الآيات والأحاديث تدل على أن لصفة الاعتراف بالفضل منزلة عظيمة، يعود نفعها وخيرها على الفرد والمجتمع، فهي سبب لتآلف المجتمع وتحابهم واستقرارهم.

ومما سبق تخلص الدراسة لعدد من الاستنباطات حول قيمة الاعتراف بالفضل في التعامل مع كبير السن كالآتي:

- حث الإسلام المسلم على أن يشكر من أدى إليه معروفًا وأن يكافئه إن استطاع، دل على ذلك حديث النبي ﷺ: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ" (الامام أحمد ١٤١٦ه : ١٨٤٧٢)، وقوله ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله". (رواه الترمذي ، ١٣٩٥ه:١٩٥٤). وأحق من يعترف بفضلهم هم كبار السن الذين أفنوا شبابهم لخدمة أبنائهم وأوطانهم، يؤكد هذا قول (القرطبي ،١٣٨٧هـ، ٢٤٤) في تفسير قوله تعالى: بَيْنَهُمْ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [الإسراء: ٢٤]، ففي هذه الآية أمر بالترحم والرفق بالوالدين جزاء ما قدما وبذلا لأبنائهم في مرحلة الصغر.

- أن الناس جميعًا قد فُطروا على حبِّ الشكر والثناء عليهم كما دل على ذلك قول رسول الله ﷺ في الحديث المذكور سابقاً "إن من أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله: أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلا غير ربي، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوَّة الإسلام ومودته لا تبقين في المسجد باب سدَّ إلا باب أبي بكر" (رواه البخاري، ١٣٩٧: ٣٤٥٤) فإذا كان هذا هو أمر فطري جبل عليه جميع الناس فإن أولى من يشكر لهم فضلهم وبذلهم كبار السن فهم أحوج ما يكون لسماع كلمات الشكر والاعتراف بالفضل لحساسيتهم المفرطة وليشعروا بمكانتهم وأهميتهم بالنسبة لمن حولهم.

- إذا كان الله أمر الرجل الذي طلق زوجته قبل الدخول بها، وكذلك المرأة التي طلقها زوجها قبل الدخول بها بالاعتراف بالفضل والإحسان لبعضهما، فمن باب أولى أن يكون الكبير الذي أحسن، وبذل، وقدم هو أحق بالاعتراف بفضله وأحوج ما يكون إليه، تقديرًا له وإشباعًا لحاجته للمدح والثناء، دل على ذلك ما ذكره (ابن كثير ،٢٠٠٠، ١٧٥) و(السعدي ،٢٠٠٠م، ١٧٥) في تفسير قوله تعالى: (وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ) [البقرة: ٢٣٧].

- يلحظ أن الأمر بالدعاء لهما في قوله تعالى: (ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا) [الإسراء: ٢٤] يعني الاعتراف بفضلهما، وجاء عند بلوغهما مرحلة الكبر، وذلك لشدة حاجتهما لهذا الأمر في هذه المرحلة، ولما له من الأثر الإيجابي على الجانب النفسي للكبير، فقد ذكر (الزهراني ،١٤٢٦هـ، ١٢٣) أن "المسن يحب من يتكلم عن إنجازاته الماضية ويثني عليها، لأن هذا الأمر يشعره بالرضى والطمأنينة ويساعده على التوافق النفسي والاجتماعي".

٤-٤- قيمة الصبر:

وللتعريف به كالتالي:

لغة: حبس النفس عن الجزع، وصَبَره أي حبسه، والتصبر تكلف الصبر (الرازي، ١٩٨٦م، ص١٤٩).

اصطلاحًا: عرفه (ابن القيم،١٤١٦ه، ٢٤١) بأنه "حبس عن التسخط واللسان عن الشكوى، والجوارح عما لا ينبغي فعله، وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية".

- النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت فيها قيمة الصبر:

تتضح أهمية قيمة الصبر والحث عليها في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ ، من ذلك قوله تعالى: (مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ) [النحل:٩٦] يقول (ابن كثير ،٢٠٠٠م، ٧٤٣) إن قوله تعالى: (وَعَلَى

ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ) قسمٌ من الرب تعالى مؤكدٌ باللام، أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم، أي ويتجاوز عن سيئها"، وذكر (السعدي ،٢٠٠٠م، ٤٤٩) في معنى الصبر في هذه الآية: "صبر على طاعة الله، وعن معصيته، وفطموا نفوسهم عن الشهوات الدنيوية المضرة بدينهم (﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ) الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا".

وأمر الله بها المؤمنين، فقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ) [آل عمران: ٢٠٠] وأثنى على أهله، فقال تعالى: (عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ) [البقرة: ١٧٧]، قال الحسن البصري رحمه الله في (ابن كثير، ٢٠٠٠م، ٢٦٩) "أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم، وهو الإسلام، فلا يدعوا إلى سراء ولا لضراء، ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم".

وأخبر الله تعالى بمحبته للصابرين، فقال تعالى: (و ۏ ۏ) [آل عمران: ١٤٦]، ومعيته لهم، فقال تعالى: (فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ) [الأنفال:٤٦].

ووعدهم أن يجزيهم أعلى وأوفى وأحسن مما عملوه، قال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ) [الزمر:١٠]

ذكر (القرطبي، ١٣٨٧هـ، ٢٤١) في معناها "أي بغير تقدير، وقيل يزيد على الثواب، لأنه لو أعطي بقدر ما عمل لكان بحساب وقيل (بِغَيْرِ حِسَابٍ) أي بغير متابعة أو مطالبة، كما تقع المطالبة بنعيم الدنيا"، وذكر الأوزاعي (في ابن كثير، ٢٠٠٠، ص ١١٨٣) "ليس يوزن لهم ولا يكال لهم، إنما يغرف لهم غرفا"، وقال مالك بن أنس (في القرطبي، ١٣٨٧هـ، ص٢٤١) في معنى الصبر بأنه "هو الصبر على فجائع الدنيا وأحزانها".

وبشرهم، فقال تعالى: (ڤ ڤ) [البقرة: ١٥٥] وأخبر أن جزاءهم الجنة فقال تعالى: (طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ)[الإنسان:١٢] "أي بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريرا ومنزلا رحبًا، وعيشًا رغدًا، ولباسًا حسنا"(ابن كثير، ٢٠٠٠م، ١٤٩٦).

ومن الأحاديث التي تدعو لهذه القيمة حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له". (رواه مسلم١٩٨٠: ٢٩٩٩) قال (ابن عثيمين ، د.ت، ١١٤): "أي: أن الرسول ﷺ أظهر العجب على وجه الاستحسان لأمر المؤمن، أي: لشأنه، فإنَّ شأنه كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، ثم فصل الرسول ﷺ هذا الأمر الخير فقال: "إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له". وهذه حال المؤمن وكل إنسان، فإنه في قضاء الله وقدره بين أمرين: إما سراء وإما ضراء، والناس في هذه الإصابة ينقسمون إلى قسمين: مؤمن وغير مؤمن، فالمؤمن على كل حال ما قدر الله له فهو خير له، إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر على الله فكان خيرًا له، فنال بهذا أجر الصابرين، وإن أصابته سراء من نعمة دينية كالعلم والعمل الصالح، ونعمة دنيوية كالمال والبنين والأهل شكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله عز وجل فيشكر الله فيكون خيرًا له، ويكون عليه نعمتان: نعمة الدين ونعمة الدنيا، نعمة الدنيا بالسراء، ونعمة الدين بالشكر هذه حال المؤمن، وأما الكافر فهو على شرٍّ - والعياذ بالله - إن أصابته الضراء لم يصبر بل يضجر، ودعا بالويل والثبور، وسبَّ الدهر، وسبَّ الزمن، والحديث فيه الحث على الصبر على الضراء، وأن ذلك من خصال المؤمنين، وعنوان الإيمان لديهم، وإن رأيت بالعكس فلُمْ نفسك، وعدِّل مسيرك، وتُبْ إلى الله".

وعن ابن عباس رضي الله عنه: "أنه قال لعطاء: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ ، قالت: إني أُصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت؛ ولك الجنة. وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك. قالت: أصبر. قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها"(رواه البخاري١٤٦٩:١٣٧٩) وعلق (ابن عثيمين ، د.ت، ص١٣٩) على هذا الحديث فقال: امرأة سوداء تصرع وتنكشف أخبرت النبي محمد ﷺ وسألته أن يدعوا الله لها فقال لها: إن شئتِ دعوت الله لك، وإن شئتِ صبرت ولك الجنة، فاختارت الصبر، وإن كانت تتألم وتتأذى من الصرع لكنها صبرت من أجل أن تكون من أهل الجنة.

وفي حديث آخر يؤكد المعنى السابق، وهو أن الصبر على الابتلاء سبب لدخول الجنة حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ الله - عز وجل - قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، فصبر عوضته منهما الجنة - يريد عينيه" (رواه البخاري١٣٧٩: ٥٦٥٣). قال ابن بطال: "في هذا الحديث حجة في أنَّ الصبر على البلاء ثوابه الجنة، ونعمة البصر على العبد، وإن كانت من أجلِّ نعم الله تعالى فعوض الله عليها الجنة أفضل من نعمتها في الدنيا؛ لنفاد مدة الالتذاذ بالبصر في الدنيا، وبقاء مدة الالتذاذ به في الجنة".

فهذه الآيات والأحاديث، هي دعوة صريحة للتخلق بهذه القيمة العظيمة ليس في وقت معين بل جاءت عامة في جميع الظروف لفضلها وقيمتها، وتتضح قيمة الصبر بشكل خاص في التعامل مع كبار السن، وذلك من خلال تعامل الأبناء مع والديهم الذين يمثلون فئة كبار السن، فالله تعالى وجه الخطاب للأبناء في قوله تعالى: (كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن)[لقمان: ١٤ - ١٥] "فهذه وصية من الله تعالى للأبناء سيسأل هل حفظها أم لا؟ ومن هذه الوصية وصيته بالإحسان إلى الوالدين بالقول اللين والفعل الجميل والقيام بمؤنتهما واجتناب الإساءة لهما من كل وجه" (السعدي، ١٤٢٣هـ، ٦٤٨) فالإنسان إذا تقدَّمَتْ به السنّ، قد يصل إلى مرحلة أرْذَل العمر كما ذكرها الله تعالى في قوله: (.....ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ .....) [الحج: ٥] وقال (القرطبي ،١٩٦٦، ١٢) هذه المرحلة تعني "أخس أدنى الهرم والخرف الذي لا يعقل"، وقال (ابن كثير ،٢٠٠٠، ٨٨٤) هي الشيخوخة والهرم وضعف القوة والعقل والفهم وتناقص الأحوال من الخرف وضعف الفكر، "فإذا بلغَ الوالدان أو كبار السن عمومًا هذه السنّ، فإن أوْلى الناس بِتَحَمُّلِهم والصّبر عليهم هم الأبناء، الذي طالما تحمَّل الآباء من أجلهم الكثير، وطالما صبَروا عليهم وأحسنَوا إليهم، فالحياة دَيْنٌ ووفاءُ، وكبار السن أحق الناس بالوفاء، فقد أفنوا حياتهم في الخدمة والعطاء فحق على كل من تولى رعايتهم أن يصبر عليهم.

ومما سبق نستنتج عدد من الاستنباطات حول قيمة الصبر في التعامل مع كبير السن كالآتي:

١- أن مرحلة الكبر تعد مرحلة ابتلاء للكبير نفسه ولمن يرعاه لأنها تعتبر مرحلة تدهور صحي عامة لجميع أعضاء، ووظائف الجسم، فكان على الكبير نفسه ومن يرعاه واجب الصبر على هذا البلاء، يؤكد هذا المعنى بشكل عام قوله تعالى(عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ) [البقرة:١٧٧]، ويؤكده أيضًا قول رسول الله ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له" (رواه مسلم، ١٩٨٠ :٢٩٩٩)، بل ومما يؤكد أن الكبير بحاجة إلى مزيد رعاية وعناية وصبر وصية الله تعالى للأبناء لرعاية آبائهم في قوله تعالى: (كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ

سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ) [لقمان: ١٤]، بل إن رعاية الكبير ليست بالأمر الهين، بل تحتاج إلى صبر وتحمُّل، لأنها مرحلة ضعف كما في قوله تعالى: (كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ ذ) [الروم: ٥٤] "فهي فترة يتغير فيها الإنسان تغيرًا فسيولوجيًا إلى صورة أخرى ليست بأفضل من سابقتها، لأن الصورة الجديدة يصاحبها ضمور في كثير من الأعضاء وفقدان ملموس للقوة والحيوية" (محمد، ٢٠١١م، ٢٥٤) لذلك فالكبير محتاج لمن يصبر على رعايته والعناية به.

٢- إن من الواجب على كل من يرعى كبار السن من الأبناء ونحوهم الصبر على حالة النسيان أو الخرف التي يمر بها الكبير وعدم التحرج من ذلك وعزله، بل يجب مساعدته وتجنيبه حالة العزلة والصبر على كل ما يصدر منه نتيجة لذلك، "لأن القوى العقلية تتناقص كلما تقدم الإنسان في العمر" (محمد، مرسى، ٢٠٠٦م، ٢٤٣) يؤكد هذا ما ذكره (القرطبي ،١٩٦٦، ١٢) و(ابن كثير ،٢٠٠٠م، ٨٨٤) في تفسير قوله تعالى: (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ)، حيث ذكروا أن مرحلة الكبر تعني مرحلة ضعف القوة والعقل، والخرف، وتناقص الأحوال بشكل عام.

٣- أن أولى من يصبر على الكبير من الآباء هم الأبناء شكرًا لما قدمه الآباء لهم، وردًّا لمعروفهم وتقديرًا لتربيتهم ورعايتهم له في طفولته، فصبر الابن على والديه الكبيرين لا يوازي حجم التعب الذي لقيه الوالدان خصوصًا الأم أثناء الحمل والولادة والإرضاع والتربية، يؤكد هذا ما ذكره (السعدي ،١٤٢٣هـ، ٦٤٨) في تفسيره لقوله تعالى: (كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن) [لقمان: ١٤ - ١٥] "أن هذه وصية من الله تعالى للأبناء سيسأل هل حفظها أم لا؟ ومن هذه الوصية وصيته بالإحسان إلى الوالدين بالقول اللين والفعل الجميل والقيام بمؤنتهما واجتناب الإساءة لهما من كل وجه" (السعدي، ١٤٢٣هـ، ٦٤٨).

٤-٥- قيمة الرحمة:

في اللغة: قال تعالى: (تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن) أي عطفًا والرَحُمون بالضم: الرحمة، وما أقرب رُحُم فلان إذا كان ذا مرحمة وبرّ، وفي التنزيل: (وأقرب رُحما) قال أبو إسحاق فيها: "أي أقرب عطفًا وأمسّ بالقرابة" (ابن منظور، ٢٠٠٣م، ١٦١٣).

اصطلاحًا: "خلق مركّب من الود والجزع! والرحمة لا تكون إلا لمن تظهر منه لرَاحمِه خِلَّة مكروهة، إما نقيصة في نفسه، وإما محبة عارضة. فالرحمة هي محبة للمرحوم، مع جزع من الحال الذي لأجلها رحم" (الجاحظ، ١٩٨٩م، ٢٤).

- النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت فيها قيمة الرحمة:

ذكر (السرجاني، د.ت، ٨٣) أن أول ما يلفت الأنظار في كتاب الله تعالى أن كل السور باستثناء سور التوبة قد صُدِّرت بالبسملة وألحق بالبسملة صفتان الرحمن والرحيم، وهذا دلالة على أهمية الرحمة في التشريع الإسلامي، "وفي سورة الكهف تكرر ذكر الرحمة في عدد من المواضع، منها قوله تعالى: (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ)[الكهف: ١٠]، أي تثبتنا بها وتحفظنا من الشر وتوفقنا للخير، وقوله تعالى: (أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) [الكهف: ٦٥] ورحمة هنا معناها رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله، وقوله تعالى: (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) [الكهف: ٨٢] (السعدي، ٢٠٠٠م، ٤٧١)، وقد وصف القرآن الكريم محمدًا ﷺ بالرحمة، قال تعالى: (ک ک گ گ گ) [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله تعالى(كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ) [التوبة: ١٢٨]، فهو رؤف رحيم، شفيق، ومن شفقته على الأمة تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله: "لولا أن أشقَّ على أمتي، أو على الناسِ لأمَرتُهم بالسواكِ معَ كلِّ صلاةٍ". (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٨٨٧) "ومن رحمته أيضًا أنه ﷺ كان إذا سمع بكاء الصبي، فيتجوز في صلاته" (أبو العينين، ١٤٠٨، ١٣٦).

وقد أخبر الله تعالى عن نبينا محمد ﷺ وأصحابه بأنهم رحماء بينهم في قوله تعالى: (فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ) [الفتح: ٢٩].

ومن صور رحمة الرسول ﷺ بالكبير أنه جاء شيخ ذات يوم يريد النبي ﷺ ، فأبطأ القوم أن يُوسِّعوا له، فَرَقَّ له رسول الله ورَحِمَه، وقال: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا"(الترمذي، ١٣٩٥ : ١٩٢٠) إنه يقول: كما ذكر (السرجاني، ٢٠١١م) إن الذي لا يرحم الصغير ولا يوقِّر الكبير ليس منا، نحن المسلمين، أي أنه لا يتصف بصفاتنا، ولا يعمل بأعمالنا، ولا يتخلَّق بأخلاقنا، وهذا يدل على منزلة كبار السن في عين رسول الله ﷺ ، بل إنه يرفض أن تطول الصلاة الجماعية - مع حبِّه لها وتعظيمه

لقدرها - لأن ذلك قد يشق على كبير السن وغيره من أصحاب الحاجات، وهذا دليل على نظرته الشمولية لمسألة الرحمة، ودليل على اتساع أفقه، وإدراكه لحقيقة الإسلام، وإنه في الأساس رحمة للناس وليس مشقة وعذابًا لهم..

ويرى أيضًا أن هذه الرحمة إن كانت لعموم كبار السن، فإنها ولا شك أعظم وأجل في حق الوالدين، فالأبوان في كثير من بلاد العالم - الذي يسمونه متحضرًا في زماننا - لا يجدان رعاية ولا عونًا من أبنائهما بعد أن يتقدم بهما العمر، وتضعف منهما الصحة، لكن الأمر ليس كذلك عند رسول الله، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صَحَابَتِي؟ قال: "أمك". قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ". قَالَ: ثُم مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ". قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثم أبوك"(رواه البخاري، ١٣٧٩، : ٢٥٤٨، ص٤٠٠).

فأحق الناس بالصحبة ليس الصديق ولا الحاكم ولا صاحب العمل ولا غير هؤلاء، إنما أحق الناس بالصحبة الأم ثم الأب، وقدَّم الأم ثلاثًا لضعفها وشدة احتياجها عند كبرها.

هذه هي رحمة النبي ﷺ بالأم والأب، ولْيُقارن أهل الأرض بين هذه الرحمة وما يحدث في العالم أجمع! بل إنه في موقف آخر يقول ما يتفطَّر له القلب رقةً وتأثرًا!

لقد جاءه رجل يقول له: إني جئت أبايعك على الهجرة، ولقد تركت أبويَّ يبكيان، فقال رسول الله ﷺ: "ارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما" (مسند الإمام أحمد،١٤١٦ه : ٦٤٩٠)، فالرجل جاء يبايع على الهجرة، والأمر جد خطير، ومع ذلك فالرسول يهتم - ليس فقط برضا والديه وراحتهما - بل بضحكهما وسرورهما!!

فهذه هي رؤيته لكبار السن في أمته، وهذه هي رؤيته للواجب نحوهم ونحو الوالدين خصوصا، ولن يكون في العالم من يأتي بمثل ما جاء به محمد ﷺ .

ومما سبق نستنتج عدد من الاستنباطات حول قيمة الرحمة في التعامل مع كبير السن كالآتي:

١- أن للكبير في السن مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة يجب أن تُقدَّر، فيُوَقَّر لكبره، ويُرحَم لضعفه، دلَّ على ذلك ما ذكره (السرجاني، ٢٠١١م) تعليقًا على حديث النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا» (الترمذي،١٣٩٥ : ١٩٢٠) فقد نفى أن يكون من المسلمين، وهذا يدل أيضًا على أن المسلم يجب أن تكون صفة الرحمة ملازمة له، وهذا ما أكدته الآية في قوله تعالى: (فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ) [الفتح: ٢٩].

٢- أن الرحمة ليست مقتصرة على اللين في القول والتلطف فيه فقط، بل يجب أن يصحبها فعل، يؤكد ذلك أمر النبي ﷺ للشاب الذي ذهب للجهاد ليس فقط بالرجوع لوالديه والسلام عليهم بل قال: "ارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما". (الإمام

أحمد،١٤١٦ه : ٦٤٩٠)، أيضًا أمر النبي محمد ﷺ للشاب بالرجوع لوالديه وإضحاكهما يدل على حاجة الكبير للرحمة؛ فحجم الألم الذي يشعران به في حالة فقد الابن ونحوه له أثر عميق على نفسيتهما لأن "المسن في هذه المرحلة عرضة للمعاناة من التوتر والشعور بالألم النفسي، وهذا ما يجعله يشعر بالعزلة وافتقاد السند والمعين" (محمد، ٢٠١١م، ٢٥٧).

٣- أنه كلما ازداد ضعف الإنسان تأكدت حاجته لمزيد رحمة وإحسان، وهذا ما أكدت عليه الشريعة الإسلامية، يؤكد هذا المعنى حديث الرجل الذي جاء إلى رسول الله ﷺ يسأله، فقال: "يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صَحَابَتي؟"، قال: "أمك. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثم أبوك" (رواه البخاري،١٣٩٧: ٢٥٤٨، ٤٠٠)، فالأم أكثر ضعفًا وأشد حاجة من الأب، لذلك جاء التأكيد على حقها رحمة لضعفها ولشدة حاجتها للرعاية والعناية.

المبحث الثالث : الأساليب و التطبيقات التربوية لقيم التعامل مع كبار السن في الأسرة في ضوء قيم التربية الإسلامية: ستتناول الباحثة الأساليب والتطبيقات التربوية لقيم التعامل مع كبار السن في الأسرة، وقد اقتصرت الباحثة على خمس منها، وستجيب الباحثة في هذا الفصل عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة ؟

وقد رأت الباحثة تقسيم التطبيقات التربوية المتعلقة بالأسرة إلى قسمين هما:

١- **الأساليب التربوية:** لقد ابتكر المسلمون عددًا كبيرًا ومتنوعًا من أساليب التربية مستمدين معظمها من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه محمد ﷺ ، وقد اقتصرت الباحثة على الأساليب التي ذكرها (العقيل ،١٤٣٥هـ، ١٥٥ -١٧١)، وهي "أسلوب القدوة الحسنة، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب الحوار والموعظة الحسنة، وأسلوب التربية بالأحداث والمواقف، وأسلوب الإقناع العقلي، والقصة "، لأنها تعد من أشهر الأساليب، وأكثرها فاعلية في الأسرة، وهي طرق أثبتت نجاحها على مر التاريخ.

وبالنظر إلى طريقة عمل القيم نجد أنها تعمل مع بعضها البعض فكل قيمة تحتاج للقيمة الأخرى وترتبط بها، لذلك فإن تربية الأسرة على القيم لا يعني استقلال كل قيمة عن الأخرى، بل إن غرس كل قيمة متضمن للأخرى.

٢- **البرامج التربوية:** وتنقسم إلى برامج مطبقة في الواقع، وبرامج مقترحة ترى الباحثة ضرورة تطبيقها.

أولا: الأساليب التربوية:

- **أسلوب القدوة الحسنة:**
- **قيمة البر:**

١- إن تعامل الوالدين مع آبائهم بالبر والإحسان يكسب الأبناء هذه القيمة، عن طريق الاقتداء بهم، فالأب الذي يطعم والديه الكبيرين، ويقوم على شأنهم فيشتري لهما

كل ما يحبانه، ويتفقد منزلهما، من حيث الأعمال المنزلية، فيصلح ما يحتاج إلى إصلاح، ويقوم بتغيير ما يلزم دون طلب من الوالدين، يبني هذه القيمة في أبنائه.

٢- كذلك الأم التي تتلطف مع والدتها وتؤانسها، وتقوم بغسل ملابسها، وتنظف المنزل، وتشتري كل ما تحتاجه والدتها، وتزور صديقاتها، وتثني على والدتها أمامهن، وغيرها من أعمال البرِّ التي يُوفَّق لها العبد، عندما يقوم بها الوالدان على مرأى من الأبناء يكسبهم هذه القيمة ويستشعرون مكانة قيمة البر وفضلها ومع الكبير على وجه الخصوص.

٣- كثرة دعاء الوالدين لوالديهما على مسمع من أبنائهما هذا يجعل الأبناء يستشعرون مكانة وقيمة الوالدين الكبيرين وأهمية برهما.

- **قيمة التواضع:**

١- إن تواضع الوالدين لأبنائهما ولآبائهما يبني هذه القيمة في سلوك الأبناء، فالابن الذي يرى والده أو والدته يحضر الحذاء لوالديه الكبيرين في السن ويلبسهما إياه، ويزيل الأذى عنهما دون تأفف أو اشمئزاز، يجعل الابن ينشأ متحليًا بقيمة التواضع، فيمارسها مع كل كبير في السن

٢- أيضًا عندما يرى الابن معاملة والديه للأقارب الكبار في السن بتواضع وتلطف ولين جانب يكسبهم هذه القيمة ويتعامل بها مع الكبار في السن.

- **قيمة الاعتراف بالفضل:**

١- إن إكثار الوالدين من عبارات الاعتراف بالفضل لكل كبير في السن كان له فضل عليهما، وأمام مسمع الأبناء، يجعل الابن يعتاد حفظ الجميل والاعتراف بالفضل، فالوالدان عندما يذكران لأبنائهما فضل والديهما عليهما وأن ما يقدمانه لوالديهما لا يعادل فضل والديهما عليهما، يجعل الأبناء يعتادوا على ذكر الجميل والاعتراف به.

٢- أيضًا الدعاء للوالدين ولكل من يسدي لك جميلا هو دليل الاعتراف بالفضل والجميل، لذلك على الوالدين الإكثار من الدعاء لوالديهما أمام مسمع الأبناء ليعتادوا حفظ الجميل والاعتراف بالفضل.

- **قيمة الصبر:**

١- أيضًا عندما يرى الأبناء صبر آبائهم وأمهاتهم على رعاية والديهم الكبيرين في السن، وتحملهم كل أذى يصدر منهما نتيجة حالة الضعف التي يمران بها؛ سواءً في أجسادهم، أو في ذاكرتهم، وعدم التأفف منهما أو إظهار الانزعاج من ذلك ينمي هذه القيمة في نفس الأبناء.

٢- تجلُّد الوالدين وصبرهما حال المصائب التي تعترض الأسرة يكسب الأولاد هذه القيمة لأن الوالدين يمثلان القدوة لهم.

- **قيمة الرحمة:**

١- إن تعامل الوالدين مع والديهما الكبيرين في السن، بل وتعاملهما مع كبار السن عمومًا برحمة وشفقة يكسب الأولاد هذه القيمة، كذلك إشراك الأبناء في مساعدة الكبير، وتقديم العون له في كل ما يحتاجه رحمة بحاله وإكرامًا لشيبته يعزز هذه القيمة في الأولاد.

٢- أيضًا إن رحمة الوالدين بالخدم وبالكبار منهم خاصة، فلا يحملونهم أعمالا كثيرة ترهقهم، ويمنحونهم فرصة التواصل مع أهلهم، هذه الأعمال تبني قيمة الرحمة في أنفس الأولاد.

- **أسلوب الحوار :**
- **قيمة البر:**

١- لكل عائلة وقت يجتمع فيه جميع أفرادها ويتبادلون أطراف الحديث بينهم، فمن الجميل أن تخصص الأسرة جزء من وقت هذه الجلسات في حوار مع الأبناء عن فضل الوالدين الكبيرين، وعن البذل والعطاء الذي قدمه والداهما لهما، هذا الحوار من شأنه أن يشعر الأبناء بمكانة كبار السن ويبني فيهم قيمة البر.

٢- عندما يخطئ أحد الأبناء في حق والدته الكبيرة، أو يرفع صوته عليها، على الأب أن يحاوره مذكرًا إياه بحق الأم، فيسأله: ماذا أجاب الرسول ﷺ الرجل الذي جاء يسأل عمَن أَحَق الناسِ بحُسنِ صحابته؟ وينتظر إجابة ابنه، فإذا انتهى من الإجابة ينبهه إلى أهمية البرِّ وشدة حاجة الكبير له.

- **قيمة التواضع:**

١- أن لا يكثر الوالدان أثناء محاورة أبنائهما من مدح وتمجيد أنفسهما أو قبيلتهما أو أعمالهما وإنجازاتهما، لأن هذا يجعل الأولاد ينشؤون على الفخر والكبر، فعندما يتكلم الأب عن نفسه في حواره مع أبنائه فلا يذكر ما يدل على فخره بعائلته أو أي أمر من الأمور التي يفتخر بها، ويبين لهم أن الكرامة والرفعة هي للمتقين .

- **قيمة الاعتراف بالفضل:**

١- عندما تحل نعمة على الأسرة أو تدفع عنهم نقمة كنجاتهم من حادث سير أو حصولهم على مسكن جديد ونحوه، على الوالدين أن يجلسوا مع أبنائهما ويحاوروهم، ويبينوا لهم أن ماحل بهم هو من نعم الله عليهم، لأن أول ما يبني في الأبناء قيمة الاعتراف بالفضل هو شكر الله تعالى واعترافهم بنعمه وتقربهم له بالعمل الصالح، فالله تعالى هو المتفضل عليهم بكل خير، وهو الأحق بالشكر، ، فإذا نما فيه هذا الخلق مارسها مع الجميع بمن فيهم كبار السن.

٢- عندما يسمع أحد الوالدين من أبنائهم ذمًّا لشخص معين، كالمعلم مثلا، على الوالدين محاورة الأبناء وتذكيرهم بفضل المعلم، والأعمال التي قدمها، ليتعلم النظر

إلى الجانب الإيجابي فيمن حوله، والاعتراف بالفضل لكل ذي فضل، ومن أهل الفضل الذين يستحقون الاعتراف بفضلهم كبار السن.

- **قيمة الصبر:**

١- عندما تمر بالأسرة أو الابن مصيبة معينة، ينبغي على الوالدين استغلالها لبناء قيمة الصبر، فيحاور الأب والأم أبناءهما ليعرفوهم بقيمة الصبر وأهميته، ويذكرانهم بالآيات والأحاديث التي تدل على عظم مكانة هذه القيمة، ويطلبان من الأبناء ذكر القصص التي مرت بهم أو بمن حولهم، والتي تجلت فيها هذه القيمة.

٢- مما يبني قيمة الصبر على كبار السن، أن يذكر الوالدان للأولاد موقفًا من مواقف الحياة التي مرت بهما، وتجلت فيها قيمة الصبر على الكبير ثم يطلبان من الأبناء التعليق على هذا الموقف وسؤالهم لماذا الكبير تحديدًا محتاج إلى الصبر؟

- **قيمة الرحمة:**

١- عندما يرى الوالدان أحد أبنائهما يعتدي على من هم دونه في العمر، أو حتى طير، أو حيوان عليهما أن يستغلا هذا الموقف فيحدثان الابن عن فضل الرحمة، ومكانتها، وأن رحمته بمن هو دونه أو أضعف منه، بل وحتى بالحيوان قد تكون سببًا لدخوله الجنة.

٢- تمر بالأب أو بالأم الكثير من المواقف الواقعية أو المشاهد التلفزيونية، التي تتجلى فيها معاني الرحمة، كحوادث الإنقاذ المتكررة، والأعمال الإنسانية التي تبذل فيها، لذلك على الوالدين استغلال هذه المواقف وزرع قيمة الرحمة في نفوس الأبناء، فيحدث الوالدان أبناءهما عن الأسباب التي دفعت هؤلاء لهذه الأعمال الكبيرة، وأن السبب الأول لذلك هو الرحمة التي يتحلون بها، وطمعهم برحمة الله تعالى لهم.

- **أسلوب القصة:**

- **قيمة البر**

١- ذكر قصص البر للأبناء أثناء الاجتماعات الأسرية، كقصة عيسى عليه السلام وبره بوالدته، وإبراهيم عليه السلام وبره بوالده، كذلك قصة أويس القرني وبره بوالدته، وقصة أصحاب الغار الذين أطبقت عليهم الصخرة، ومناقشة الأبناء في أثر هذه القيمة على أصحابها لتتعزز وتبنى هذه القيمة في نفوسهم، ولتكون عامة في تعاملهم مع من حولهم بما فيهم كبار السن.

٢- ذكر القصص المعاصرة التي عايشها الأب أو الأم عن البر للأبناء يعزز أيضًا قيمة البر في نفوسهم.

- **قيمة التواضع:**

١- أن يحرص الوالدان على قراءة سيرة النبي ﷺ للأبناء، ففيها من القصص والأحداث ما يبني في الأبناء قيمة التواضع، كتواضعه في مأكله وملبسه ونومه وتعامله مع من حوله، كتواضعه لكبار السن.

٢- القصص الواقعية التي مرت بالوالدين أو بمن حولهم كقصص تواضع بعض المعلمين أو كبار الشخصيات ونحوها ما يعزز هذه القيمة.

- **قيمة الاعتراف بالفضل:**

١- ذكر قصص من السيرة النبوية تتحدث عن قيمة الاعتراف بالفضل كاعتراف النبي ﷺ بفضل خديجة وأبي بكر ، وبفضل الأنصار.

٢- يذكر الوالدان قصصًا من تضحيات والديهما لهما، وما قدماه من جهود ساهمت في وصوله إلى هذه المرحلة، هذا السلوك يبني في الأبناء قيمة الاعتراف بالفضل لكل من حوله ككبار السن.

- **قيمة الصبر:**

١- إن في قصص الأنبياء وصبرهم على أقوامهم من أجل الدعوة إلى الله تعالى مادة مكثفة لبناء قيمة الصبر، فلو خصصت الأم لأبنائها قراءة قصة من قصص الأنبياء قبل النوم، وناقشتهم فيها يعزز فيهم قيمة الصبر فيمارسونها في حياتهم ومع من حولهم ككبار السن.

- كذلك في قصص الصحابة والسلف الصالح وصبرهم على الأذى من أجل التمسك بالإسلام، كقصة بلال ابن رباح رضي الله عنه ، وكذلك القصص المعاصرة التي عايشها الوالدان ما يبني قيمة الصبر.

- **قيمة الرحمة:**

١- إن حياة النبي محمد ﷺ تبني في الأبناء قيمة الرحمة، فهو أُرسل رحمة للعالمين، فكان رحيمًا في تعامله مع الخلق جميعًا، بل ومع الحيوانات والطيور، لذلك على الأسرة أن تخصص عددًا من أيام الأسبوع لقراءة السيرة النبوية ومناقشة الأبناء فيها، وتخصيص بعض هذه الدروس لقصص تتجلى فيها رحمة النبي ﷺ في تعامله مع كبار السن.

٢- أن يطلب الوالدان من الأبناء ذكر قصص شاهدوها أو قرأوها تحكي قيمة الرحمة، وتحديدًا الرحمة بكبير السن.

٣- بإمكان الأسرة عمل مسابقة لأفضل قصة يكتبها الأبناء عن قيمة الرحمة بكبير السن وتخصص جوائز لهذه المسابقة.

- **أسلوب التربية بالأحداث والمواقف:**

- **قيمة البر**

١- عندما يصطحب أحد الوالدين أولادهم معهم ويرون أحد مشاهد البر التي تتكرر كثيرًا إما في المسجد أو السوق ونحوه، كابن يُلبِس أباه حذاءه، أو يسقيه ماء، أو يحمله للسيارة، وغيرها من أعمال البر، فعليه أن يستغل هذه المواقف ويلفت انتباه أبنائه إلى هذه القيمة، وأهميتها، وشدة حاجة الكبير لها.

٢- عندما يرى الأب أو الأم أحد والديهما محتاجًا لأمر ما على الوالدين استغلال هذا الموقف وإشراك أبنائهما، في تقديم البر لوالديهما، فعندما يكون الأبناء شركاء في أعمال البر التي يقوم بها الوالدان لوالديهما، يجعل الأبناء يعتادونها منذ الطفولة، فترسخ هذه القيمة لديهم.

- **قيمة التواضع:**

١- يحضر في كثير من المناسبات التي تمر بالأسرة كبار السن ممن لهم حق الاحترام والتقدير والتواضع، فعندما يصحب الأب أو الأم أبناءهم لهذه المناسبات، ويشاهدون مواقف التوقير والتواضع للكبير، بل ويشركونهم فيها، كتقديم القهوة أو تقريب الطعام لهم، يبنى في الأولاد قيمة التواضع بشكل عام وللكبير على وجه الخصوص.

- **قيمة الاعتراف بالفضل:**

١- على الوالدين أن يستغلا حضور أبويهما الكبيرين في السن أو أحدهما إلى المنزل فيذكران فضلهما لأبنائهما وما قدموه لهما في حياتهما.

٢- على الأب والأم استغلال مواقف الخصومة بين الأبناء أو بين الابن وأحد زملائه في تربيته على الاعتراف بالفضل وعدم إنكاره بسبب هذه الخصومة، وهذا يغرس في الأبناء قيمة الاعتراف بالفضل مع الجميع وللكبير على وجه الخصوص.

٣- أيضًا استغلال الاجتماعات العائلية والمناسبات كالأعياد في اقتناء الهدايا لمن لهم فضل على الشخص، كالوالدين والإخوة، يربي في الابن قيمة الاعتراف بالفضل وشكر المحسن فيمارسونها مع الجميع بما فيهم كبار السن.

- **قيمة الصبر:**

١- عندما يرى الأولاد صبر والديهم على رعاية آبائهم الكبار في السن في شدة ضعفهم وحاجتهم إليهم دون تأفُّف من الأبناء أو شكوى، بل يُشعرون أبناءهم بسعادتهم وهم يرعون آباءهم ويذكرون لهم أن صبرهم على والديهم لا يقاس بصبر آبائهم على رعايتهم في طفولتهم، فكل هذه المشاهد والأحداث تربي الأولاد على قيمة الصبر على كبير السن.

- **قيمة الرحمة:**

١- على الأب والأم أن يستغلا المناسبات التي يكون فيها كبار السن لغرس قيمة الرحمة في أبنائهما، فكثيرا ما يكون الكبير في السن بحاجة لأمور كثيرة كالإمساك بيده للوقوف والمشي أو تقريب الكرسي له وحمله عليه ونحوها، لذلك على الآباء أن يحثوا أبنائهم على القيام بهذه الأعمال للكبير في السن رحمة به وتوقيرًا له، وهذا يجعل الأبناء يمارسون هذه القيمة في كل موقف يجمعهم بأي كبير في السن.

- **أسلوب الترغيب والترهيب:**
- **قيمة البر:**

١- على الوالدين أولا تحبيب الأولاد وترغيبهم في قيمة البر، عن طريق ذكر الأجر الذي سيلقاه في الأخرة، والتوفيق والسعادة التي سينالها في الدنيا إن عمل بها، كذلك ذكر الأحاديث والقصص التي تحث على البر وترغب فيه، فالأم التي تجلس مع أولادها وتختار قصة من القصص الواقعية التي تجلت فيها قيمة البر ستجد تأثيرها عليهم في تطبيقها مع من حوله بما فيهم كبار السن.

٢- إذا لم يفد الترغيب في الأولاد، ينتقل الوالدان إلى الترهيب، وذلك بذكر عقوبة العاقِّ في الدنيا والأخرة، لتخويفهم وزجرهم عن هذا الفعل، ويوردان الأحاديث والآيات التي تدل على ذلك كحديث رسول الله ﷺ: «رغم أنفه. ثم رغم أنفُه. ثم رغم أنفُه. قيل: مَن يا رسولَ اللهِ؟! قال: من أدرك والديه عند الكبرِ، أحدَهما أو كليهما، ثم لم يدخلِ الجنةَ»، فيدرك الأولاد من خلال هذا الحديث شدة حاجة الكبير للبر والترغيب في بذله، والترهيب من تركه.

- **قيمة التواضع:**

١- على الوالدين ترغيب أبنائهما في قيمة التواضع والثواب المترتب على ذلك، ويوردان الآيات والأحاديث الدالَّة على ذلك، كحديث رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»، ثم يبين لأبنائه أن كبار السن محتاجون إلى التواضع في التعامل معهم، وقد يستعين الوالدان لترغيب الأبناء بهذه القيمة بعرض مقاطع الفيديو التي تظهر الكثير من الشخصيات العالية متحلية بخلق التواضع للكبير في السن.

٢- أيضًا قد لا يفيد في بعض الأولاد الترغيب، لذلك على الوالدين أن يستخدما أسلوب الترهيب، فيذكران لأبنائهما عواقب التكبر وشدة نهي الشريعة الإسلامية عنه، فيذكران لهما الآيات والأحاديث الدالة على ، فإذا نمت عندهم محبة التواضع وكراهية التكبر سيمارسها الأبناء مع من حولهم، بمن فيهم كبار السن.

- **قيمة الاعتراف بالفضل:**

١- على الوالدين دائمًا تعويد أبنائهما على الاعتراف بفضل كل من له فضل عليهما، فإذا قام الابن بمساعدة والديه في أعمال المنزل، فعلى الوالدين شكر ابنهما على جهده وعمله، لأن هذا يعوِّد الابن على قيمة الاعتراف بالفضل لأهله، ولمن هم حوله، بمن فيهم كبار السن.

٢- عندما يسمع الوالدان أحد أبنائهما ينكر جميل معلم له، أو صديق سابق، عليهما أن يحذرا هذا الابن من عواقب هذا السلوك، وأن هذا مخالف لمنهج النبي ﷺ الذي كان

يشكر كل محسن، ويعترف بفضل أهل الفضل، حتى لو كان عدوًا له. فإذا غرست هذه القيمة في نفسه سيمارسها مع من حوله من أهل الفضل، ككبار السن.

- **قيمة الصبر:**

١- إن تحلي الوالدين بهذه القيمة، وممارستها في تعاملهما مع أبنائهما يرغب الأبناء في التحلي بها وممارستها في التعامل مع مَن حولهما، بمن فيهم كبار السن.

٢- على الوالدين تخصيص وقت معين، ومن الأفضل أن يكون قبل النوم، يتم فيه اختيار قصة ترغِّب في هذه القيمة وتدعو إلى ممارستها مع الناس جميعًا، ومع الكبير على وجه الخصوص.

- **قيمة الرحمة:**

١- على الوالدين ترغيب أولادهما في قيمة الرحمة والثواب المترتب عليها، ويوردان الآيات والأحاديث الدالة على ذلك كحديث رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»، ثم يبيِّنا لأولادهما أن كبار السن محتاجون إلى مزيد من الرحمة في التعامل معهم.

٢- أيضًا قد لا يفيد في بعض الأولاد الترغيب، لذلك على الوالدين أن يستخدما أسلوب الترهيب، فيذكران لأولادهما عواقب الشدة والغلظة في التعامل مع الناس، وأن هذا مخالف لما جاءت به الشريعة الإسلامية، ومخالف لمنهج رسول الله ﷺ ويذكران لهما الآيات والأحاديث الدالة على أهمية الرحمة، ، فإذا نمت عند الأولاد قيمة الرحمة فسيمارسها مع مَن حوله، بمن فيهم كبار السن.

ثانيًا: البرامج التربوية في الأسرة:

أ- البرامج التربوية الأسرية المطبقة:

١- قام الشبيلي (د.ت) بإعداد حقيبة تدريبية بعنوان القيم التربوية الأسرية، التي تحوي برنامجًا متكاملا لغرس هذه القيم، معتمدًا على المرحلية في غرسها، وتستغرق مدة غرسها شهرًا ونصف الشهر، ومن القيم التي تناولها في هذه الحقيبة قيمتا **البر، والرحمة**، وقد احتوت هذه الحقيبة على دفتر لمتابعة القيم التربوية، ودفتر للتخطيط التربوي، ودفتر خاص باللقاءات العائلية، وقد قسمت مدة غرس هذه القيمة إلى شهر ونصف الشهر لكل قيمة، وتقوم على تخصيص الأسبوع الأول للتحفيز وإثارة الدافعية، ومن واجباته كتابة موضوع إنشائي عن البر أو الرحمة، وفي الأسبوع الثاني للتعميق والتجسيد، ومن واجباتها عمل مجلة حائط عن فضل البر أو الرحمة، وفي الأسابيع الثالث والرابع والخامس للتطبيق والتدريب العملي على عدد من أعمال البر، كتقبيل يد الوالدين يوميًا والمساعدة في قضاء حوائج الوالدين من المتجر القريب، أو مساعدتهما في الشؤون المنزلية، أو أعمال الرحمة، كالتعاطف مع المرضى والمحتاجين ورحمة الحيوانات، الأسبوع السادس والأخير يخصص لتأكيد القيمة ومن واجباته كتابة رسالة لشخص لا يبر والديه أو لا يرحم، وتقديم الهدايا للوالدين.

٢- يمكن الاستعانة بموسوعة القيم (مرسي، ١٤٣٤ه) التي تناولت عددًا كبيرًا من القيم منها قيمة البر، والتواضع، والاعتراف بالفضل، والصبر والرفق، وقد تضمنت هذه الموسوعة تعريفًا بالقيمة ومبادئها ومظاهرها، كذلك يجد المربي في هذه الموسوعة الآيات والأحاديث والأناشيد والقصص التي تتعلق بكل قيمة، ومسابقات وصورًا للتلوين، وعبارات تُعلَّق على الحائط للتذكير بها وتعزيزها.

ب- البرامج التربوية الأسرية المقترحة:

١- أن يخصص الوالدان يومًا من كل أسبوع لزيارة الوالدين أو يومًا كل شهر للقيام بزيارة دار المسنين أو المرضى من كبار السن، في المستشفيات مع أبنائهم، وبمشاركة أبنائهم بأعمال مختلفة لهم، كتنظيف المنزل، وتقديم الطعام، والهدايا لهم، والقيام على شؤونهم، هذه الأعمال من شأنها أن تعزز قيمة البر، والرحمة والتواضع في الأبناء.

٢- أن تقوم الأسرة بعمل احتفال خاص بكبار السن في الحي والأسرة، وتقدم لهم فيه الهدايا والمأكولات التي يحبونها، وعمل مسابقات تُدخِل السعادة على قلوبهم وتجمعهم بمن هم في مثل عمرهم، هذا من شأنه أن يبني في الأبناء أن البر ليس قاصرًا على الوالدين، بل يشمل كل خير من قول أو فعل تقدمه للآخرين، ومنهم كبار السن.

٣- تخصيص يوم في الشهر يقدم فيه الأولاد برنامجًا متكاملا عن قيمة من القيم، كالبر، يشمل مسرحية تحكي حاجة كبار السن إلى البر، وتكون من تأليفهم، وعددًا من الأناشيد والكلمات.

٤- يخصص الوالدان مسابقة شهرية ثقافية وتكون إجابة أسئلتها من كتاب محدد يحمل قيمة من القيم ككتاب "بالوالدين" للإمام البخاري، أو كتاب "بر الوالدين في ضوء الكتاب والسنة" لسعيد القحطاني.

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي:

١- استنباط القيم الخمسة للتعامل مع كبار السن وهي(البر، والرحمة ، والتواضع، والصبر، والاعتراف بالفضل) من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

٢- أن التواضع للكبير ليس قاصراً على لين القول؛ بل يكون بالفعل، وهذا هو المعنى الحقيقي للتواضع.

٣- أن البِر عمل يحتاج إلى صبر ومجاهدة وترك شيء من حظوظ النفس وملذاتها.

٤- أن الله تعالى خص مرحلة الكبر بالإكرام والتواضع، لأن الكبير في هذه المرحلة يشعر بالضعف والحاجة إلى من حوله، نتيجة ما يمر به من ضعف في الجوانب الجسمية النفسية والاقتصادية .

٥- أن مرحلة الكبر مرحلة ابتلاء للكبر نفسه، ولمن يقوم على رعايته، لذلك كان على الكبير ومن يرعاه على وجه الخصوص واجب الصبر، وأولى من يصبر على الكبير هم أبناؤه الذين بذل وقدَّم لهم في طفولتهم .
٦- أن تمثل الوالدين لقيمة من القيم الخمسة المستنبطة في تعاملهم مع كبار السن يكسب أبناءهم هذه القيم عن طريق الاقتداء بهم.
٧- أن الأحداث التي تمر بالأسرة تعتبر فرصة لبناء القيم الخمسة المستنبطة، إذا استغلها المربي بطريقة مناسبة.
٨- أن للقصص أهمية كبيرة في تنمية القيم، لذلك على المربي انتقاء القصص التي تنمي القيم الإسلامية، ومنها القيم الخمسة المستنبطة والمتعلقة بالتعامل مع كبار السن.
٩- أن للاستعانة بالترغيب والترهيب في تنمية القيم دور كبير في غرسها في المتربي، وكذلك الأساليب التربوية السابقة الذكر، (القصة والقدوة والتربية بالأحداث حوار) لها أهمية كبيرة في غرس القيم .
١٠- أن للاستعانة بالبرامج التربوية المعدة خصيصاً لبناء القيم أثر كبير في تنميتها وبنائها في الأبناء والطلاب.
١١- بإمكان المربين في الأسرة إعداد برامج تربوية لبناء القيم الخمس المستنبطة في نفوس الطلاب، كلٌ بما يتناسب مع ظروفه المحيطة به وإمكاناته.

وبذلك تكون الدراسة قد أجابت على أسئلتها وعالجت موضوعها وحققت أهدافها وفيما يلي تقدم الدراسة عدد من التوصيات والمقترحات لتفعيل الاستفادة من هذه القيم المستنبطة :

- **التوصيات:**

١- دعوة المؤسسات الأخرى المشاركة في العملية التربوية، كالإعلام، إلى تناول موضوع قيم التعامل مع كبار السن، واظهار كبير السن بصورة لائقة تبني في نفس المتربي واحترام الكبير وتقديره.
٢- عمل دورات تدريبية لموضوع كبار السن وقيم التعامل معهم لكافة أفراد المجتمع والعاملين مع كبار السن على وجه الخصوص.
٣- العمل على استحداث برامج تربوية متكاملة لقيم التعامل مع كبار السن لتستفيد منه كل أسرة .
٤- العمل على الاستفادة من البرامج الموجودة التي تهتم بغرس قيم التعامل مع كبار السن والعمل على توسيع نطاق تطبيقها حتى تكون الفائدة أعم وأكبر.
٥- على الدولة والمؤسسات الاجتماعية العناية بكبير السن الذي لا يجد من يعتني به ويرعاه وإيجاد أماكن خاصة بهم، كالمجالس التي تجمع كبار السن، لما لها من أثر كبير في إشباع الحاجات النفسية للكبير.

مراجع الدراسة :

الأمم المتحدة والشيخوخة. (د.ت). تم استرجاعها بتاريخ ١٤٣٥/٥/١٠هـ من:
http://www.un.org/arabic/esa/ageing/index.html
الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة. (١٢-٨نيسان/أبريل ٢٠٠٢م). تم استرجاعها بتاريخ ١٤٣٥/٥/١٠هـ من:
http://www.un.org/arabic/conferences/ageing/presskit/fact8.htm
الأصفهاني ،أبي الفرج .(١٤٢٨ه). **كتاب الأغاني** ،القاهرة : مطبعة دار الكتب.
ابن حجر، أحمد بن علي.(١٣٧٩ه). **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**. د.ط، بيروت: دار المعرفة.
ابن حنبل، أحمد. (١٤١٩ه). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الرياض: بيت الأفكار الدولية.
ابن حبان، محمد بن أحمد.(١٤١٤ه).**صحيح ابن حبان**، بيروت: مؤسسة الرسالة .
ابن عثيمين، محمد بن صالح .(د.ت) **تفسير القرآن الكريم** : نسخة الكترونية .
حميد، صالح، ملوح، عبدالرحمن. (١٤١٨ه). **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، جدة: دار الوسيلة.
الرازي. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن. (١٤٢٥ه-٢٠٠٤م). التفسير الكبير، بيروت: دار الكتب العلمية.
الزهراني، علي إبراهيم. (١٤٢٦هـ). **أساليب التعامل مع كبار السن رؤية تربوية تأصيلية**، المدينة المنورة، دار الخضيري للنشر والتوزيع.
الزغبي ،أحمد شحادة بشير.(٢١-٢٣آذار .٢٠١١م) . **الأحكام الفقهية المتعلقة بالوالدين وكبار السن في الفقه الإسلامي** ، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر كبار السن بين الواقع والطموح ،عمان : كلية الآداب بجامعة عمان الأهلية .
السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. (٢٠٠٠م). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.
السرجاني، راغب.(د.ت). **الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية** : كتاب الكتروني .
الشبيلي، علي. (د.ت). قيم التربوية الأسرية، د.ن. الرياض.
الصرايرة، طالب محمد. (١٤٣١هـ). **القيم الحضارية لرعاية المسنين من منظور قرآني.** رسالة ماجستير (منشورة). قسم أصول الدين، كلية الشريعة: الأردن.
الصنعاني، محمد إسماعيل الأمير اليمني. (١٩٩٩م). **سبل السلام شرح بلوغ المرام**. صححه: فواز رملي، إبراهيم الجمل. ط١٢. بيروت: دار الكتاب العربي.
العبيدي، إبراهيم محمد. (١٤٢٣هـ). **علم الشيخوخة الاجتماعي**، الرياض: دار الزهراء.

أبو العينين، علي خليل. (١٤٠٨هـ). **القيم الإسلامية في التربية**، المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلبي.

القاري، علي بن سلطان (٢٠٠٢م). **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر [نسخة إلكترونية].

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى. (١٣٨٧هـ). **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق أبي إسحاق اطفيش.ط٢. القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (٢٠٠٠م). **المصباح المنير في تهذيب تفسير بن كثير**. ط١. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.

محمد، محمود مندوه. (١٤٣٢هـ). **الصحة النفسية**، الرياض: مكتبة الرشد.

مرسي، كمال ابراهيم. (٢٠٠٦م).كبار السن ورعايتهم في الإسلام وعلم النفس، القاهرة: دار النشر للجامعات.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد. (٢٠٠٣م). **لسان العرب**، القاهرة: دار معارف.

موقع رسالة الإسلام. (د.ت). تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١١/٠٦/١٢م من:
http://islamstory.com/ar/%D8%B1%D8%AD%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%8A-

موقع قصة الإسلام. (٢٠١١/٦/١٢م). تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٥/٦/٢٦م من:
http://islamstory.com/ar/%D8%B1%D8%AD%D9%85%D8%A9-%D8

النووي، محي الدين أبي زكريا. (١٤١٦هـ). **صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي**، القاهرة: دار السلام [نسخة إلكترونية]:
http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=7513&idto=7515&bk_no=53&ID=1188

الهاشمي، عبدالحميد. (١٤٠٠هـ).**علم النفس التكويني**، جدة: دار المجمع العلمي.